إنصاف الضرة ضرتها أم المؤمنين عائشة رضي اللّٰه عنها أنموذجاً

إعداد

د. منيرة هشبل القحطاني

أستاذ الحديث المساعد بجامعة الملك فيصل

إنْصَافُ الضَرَّة ضَرَّتَها

أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها أنموذجاً

د. منيرة هشبل القحطاني

ملخص البحث

يتحدث هذا البحث عن قيمة عظيمة هي قيمة (الإنصاف بين الضرائر) أي إنصاف بعضهن البعض، واخترت الضرائر؛ لأن الغيرة والتنافس تغلب على علاقتهن فيكون ذلك أدعي لاتباع الهوى والتعصب للذات.

وتم في هذا البحث تعريف مفهومي الإنصاف والضرائر، ثم استعراض أنموذج واقعي يثبت هذه القيمة العظيمة وهو إنصاف أم المؤمنين عائشة لضرائرها من زوجات النبي صلى الله عليه وسلم، حيث ساهمت في نقل مناقبهن وفضائلهن فكانت منصفة لهن؛ فلم تغمط لأحد منهن فضلا، ولم تكتم لأحد منهن منقبة، حتى وإن كانت تغار منها أشد الغيرة، أو كانت تساميها مكانة في قلب النبي صلى الله عليه وسلم، ثم بيان ثباتها رضي الله عنه على هذه الصفة العظيمة حتى مع من اختلفت معهم من غير ضرائرها.

وقد تم عرض الأحاديث الدالة على ذلك تحت مباحث ومطالب، ثم التعليق عليها وتوظيف أقوال أهل العلم لشرح الشاهد منها.

Abstract

This research deals with a great value which is called (fairness between Fellow Wives). It means the fairness between each other. I choose Fellow Wives because jealousy and competition overcome their relationship which is more likely lead to follow passion and self-intolerance.

In this research, the concepts of fairness and fellow wives were defined; then, a realistic model was presented to prove this great value, namely, the fairness of the mother of the believers «Aisha» to her fellow wives from the wives of the Prophet's (peace and blessings of Allah be upon him) as she contributed in the transmission of their virtues and excellences. She neither concealed any of their virtues nor she hided their commendable characteristics, even if she was strongly jealous of one of them or she was of the same status in the heart of the Prophet (peace be upon him), and then the statement of her steadfastness- may Allah be pleased with her- on this great status even with those who differed with her other than her fellow wives.

The hadiths in this regard had been presented in subjects and topics; then, there were a comment on the same and employment the opinions of the scholars to explain the quotation of it.

Muneera Hashbal AL Qhtani

King Faisal University

المقدمة

إنَّ الحمد لله، نحمده ونستعين به، ونستهديه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضلّ له، ومن يُضلل الله فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله صلى الله عليه وسلم.

أمّا بعد؛ فإن الإسلام دين يقوم على الإنصاف والعدل وأعظم الإنصاف هو توحيد الله بالعبادة، وهو أعظم مجالات الإنصاف حيث أنها تتعدد وتتشعب وأعظم المجالات التي لابد من الإنصاف فيها هي العلاقات الإنسانية فعزز الإسلام كل أمر يسهم في بنائها ونهى عن أي أمر قد يسهم في هدمها ومن الأمور التي تسهم في بناء هذه العلاقات الإنسانية هو الإنصاف والبعد من التطرف والغلو والتعصب للذات أو المكان أو حتى للدين.

فنحن كمسلمين مأمورين بالعدل والإنصاف مع الأعداء، فكيف مع من تربطنا بهم رابطة الإيمان والإسلام والدين، وتجمعنا بهم أسرة واحدة كحال الضرائر مع بعضهن فهن شركاء في بناء أسرة واحدة، وتربية أبناء يجمعهم أب واحد هو الزوج، وتحدث بينهن الكثير من الخلافات التي سببها الغيرة والتنافس على الزوج، ولما كانت الغيرة تعد مرتعا خصبا للتعصب للذات والجور والظلم، واتباع الهوى، اخترت لتوضيح قيمة الإنصاف العظيمة مع المخالف، إنصاف الضرة لضرتها واتخذت إنصاف أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها ضرائرها من نساء النبي صلى الله عليه وسلم أنموذجا واقعيا يدل على الموضوعية وعلى الإنصاف والابتعاد عن اتباع الهوى والتعصب للذات بل مراعاة الحق وتقوى الله في السر والعلن، وسأقوم باستعراض بعض الأحاديث الدالة على ذلك.

وما ذلك كله إلا إبرازا وتأكيدا لمبدأ الإنصاف مع المخالف لأنه لا يتبين عظم إنصاف الشخص وعدله إلا مع منافسه أو مخالفه سواء خالفه في الرأي أو المذهب أو الفكر أو الدين، ولقد اعتمدت في إثبات إنصافها لضرائرها على ما صح من الأحاديث في هذ الباب.

منهج البحث:

يعتمد البحث على المنهج الاستقرائي في كتب السنة، وقد انتهجت فيه منهج الحديث الموضوعي في حصر الأحاديث ذات العلاقة المباشرة بموضوع البحث واختيار الثابت منها خاصة في مبحث إنصاف أم المؤمنين عائشة لضرائرها من أمهات المؤمنين وهو صلب الموضوع، وجعلت الأحاديث المتعلقة بكل مبحث على حدة ثم وظفت أقوال أهل العلم الشارحة والمبينة للشاهد من الحديث.

خطة البحث:

قسمت البحث إلى مقدمة وتمهيد وثلاثة مباحث:

التمهيد: فيه شرح معنى الإنصاف، ومعنى الضرائر، ونبذة موجزة عن فضل أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها.

المبحث الأول: أصل الإنصاف في الشريعة الإسلامية.

المطلب الأول: الإنصاف في القرآن الكريم.

المطلب الثاني: الإنصاف في السنة النبوية.

المطلب الثالث: أقوال أهل العلم في أهمية الإنصاف.

المبحث الثاني: إنصاف أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها مع ضرائرها.

المطلب الأول: إنصافها لأم المؤمنين خديجة بنت خويلد رضي الله عنها.

المطلب الثاني: إنصافها لأم المؤمنين سودة بنت زمعة رضي الله عنها.

المطلب الثالث: إنصافها لأم المؤمنين زينب بنت جحش رضي الله عنها.

المطلب الرابع: إنصافها لأم المؤمنين جويرية بنت الحارث رضي الله عنها.

المطلب الخامس: إنصافها لأم المؤمنين ميمونة بنت الحارث رضي الله عنها.

المبحث الثالث: قيمة الإنصاف في حياة أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها.

المطلب الأول: إدراكها وإيمانها العميق بهذه القيمة العظيمة.

المطلب الثاني: ملازمة أم المؤمنين لهذا الخلق العظيم مع سائر الناس ممن خالفها.

المبحث الرابع: أثر إنصاف الضرائر بعضهن البعض على الأسرة والمجتمع.

الخاتمة: وفيها أهم النتائج

ولا أستطيع القول أني اعطيت هذه القيمة العظيمة وهي قيمة الإنصاف بين الضرائر حقها من البحث، لكني اجتهدت وأرجو من الله تعالى الأجر والثواب، وأن يجعل عملي صالحا ولوجهه خالصا، وأن يعفو عن خطئي وتقصيري، فاللهم انفعنا بما علمتنا، وعلمنا ما ينفعنا، وزدنا علماً، وصل وسلم على معلمنا الخير ومنذرنا من كل شر رسولنا وحبيبنا المصطفى وعلى آله وصحبه أجمعين.

تمهيد

تعريف الإنصاف:

الإنصاف لغة:

الإنصاف: أنصف ينصف، و أنصفه من نفسه، وانتصفت أنا منه، و تناصف القوم، أي أنصف بعضهم بعضاً، وأنصفت إنصافاً، أي عاملت بالعدل و القسط، والعدل من أسماء الله الحسنى. وقيل أيضا عن الإنصاف: مصدر أنصف ينصف، وهو مأخوذ من مادة: (ن، ص، ف)، (وهي تدل على معنيين: أحدهما: شطر الشيء، والآخر على جنس من الخدمة والاستعمال)[(١)] .

الإنصاف اصطلاحاً:

قال المناوي: الإنصاف: هو العدل في المعاملة بأن لا يأخذ من صاحبه من المنافع إلا ما يعطيه، ولا ينيله من المضار إلا كما ينيله[(٢)]. وأضاف الراغب إلى ذلك: الإنصاف في الخدمة وهو أن يعطي صاحبه ما عليه بإزاء ما يأخذ من النفع[(٣)].

وقال أيضا: الإنصاف والعدل توأمان نتيجتهما علو الهمة وبراءة الذمة باكتساب الفضائل وتجنب الرذائل[(٤)].

معنى الضرائر:

ضَرَّةُ المرأة: امرأَةُ زَوجها. والضَّرَّتان امرأتا الرجُل، كلُّ واحدةٍ منهما ضَرَّة لصاحبتها وهن الضرائِر، ومنه الإضْرارُ وهو التزويج على ضَرَّة ويقال: نكحت فلانة على ضُرٍّ أو على ضِرٍّ -بالكسر والضم- أي على امرأة كانت قبلها[(٥)].

وسبب التسمية لأن كل واحدة منهما تُضارُّ صاحبتها، ويفضل قول: جارة من المجاورة على أن يقال ضَرَّة من المضارة[(٦)].

فضل أم المؤمنين عائشة بنت أبي بكر رضي الله عنها:

هي عائشة بنت أبي بكر الصِّدِّيق بن أبي قحافة بن عامر بن عامر بن عمرو بن كعب بن سعد بن تيم بن مرة بن كعب بن لؤي، القرشية التيمية، المكيَّة، أم المؤمنين، زوجة النبي –صلَّى الله عليه وسلَّم– أفقه نساء الأمَّة على الإطلاق، وأمُّها أمُّ رومان بنت عمير بن عامر بن دهمان بن الحارث بن غنم بن مالك، بن كنانة[٧].

اختارها الله تعالى زوجة لنبيه فجاء عنها أنها قالت: «قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: أُرِيتُكِ في المنام ثلاثَ ليالٍ؛ جاءني بك الملَكُ في سَرَقَةٍ[٨] من حرير، فيقول: هذه امرَأتك، فأكشِفُ عن وَجْهِكِ، فإذا أنت هيَ، فأقولُ: إن يكُ هذا مِن عند الله، يُمضِهِ»[٩].

وهي زوجته في الجنة فعن أبي وائل[١٠]، قال: «لما بعَث عليٌّ عمارًا والحسنَ إلى الكوفة ليستنفرَهم خطب عمارٌ فقال: إني لأعلَم أنها زوجةُ نبيكم في الدنيا والآخرة، ولكن الله ابتلاكم لتتَّبعوه أو إيَّاها»[١١].

نزل الوحي الإلهي في فراشها: قالت رضي الله عنها: كان الناس يتَحرَّون بهداياهم يومَ عائشة، قالت: فاجتمَعن صواحبي إلى أم سلمة، فقُلن لها: إن الناس يتَحرَّون بهداياهم يوم عائشة، وإنا نريد الخير كما تريده عائشةُ، فقولي لرسول الله صلى الله عليه وسلم يأمر الناس أن يُهدوا له أينَما كان، فذكرَت أمُّ سلمة له ذلك، فسكَت فلم يردَّ عليها، فعادت الثانيةَ، فلم يردَّ عليها، فلما كانت الثالثة قال: «يا أمَّ سلمة، لا تؤذيني في عائشة؛ فإنه والله ما نزَل عليَّ الوحيُ وأنا في لحاف امرأة منكنَّ غيرها»[١٢].

وسلم عليها جبريل عليه السلام عليها فقد قال لها النبي صلى الله عليه وسلم يومًا: «يا عائشُ، هذا جبريل يُقرئك السلام»، قالت: وعليه السلام ورحمة الله وبركاته، تَرى ما لا أرى[١٣].

كان صلى الله عليه وسلم يحبها حبًّا شديدًا يجاهر به أمام الناس، فعن عمرِو بن العاص رضي الله عنه، أنَّه سأل النبيَّ صلى الله عليه وسلم: «أيُّ الناس أحبُّ إليك؟ قال: عائشة، فقال: مِن الرجال؟ قال: أبوها»[١٤].

لم يتزوج النبي صلى الله عليه وسلم بكرًا غيرها، قالت رضي الله عنها: «قلتُ: يا رسول الله، أرأيتَ إذا نزلتَ واديًا فيه شجرةٌ قد أُكل منها، ووجدتَ شجرة لم يُؤكل منها، في أيِّها كنتَ تُرتع بعيرَك؟ فيقول: إلى التي لم يؤكل منها»؛ يعني: أن النبي صلى الله عليه وسلم لم يتزوَّج بكرًا غيرها[١٥].

أثنى عليها النبي صلى الله عليه وسلم وبين فضلها فعن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه أنه قال: «قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: كَمُل من الرجال كثير، ولم يكمل من النساء إلا مريُم بنت عمران، وآسيةُ امرأة فرعون، وفضل عائشةَ على النساء كفَضْل الثَّرِيد على سَائر الطعام»[١٦].

والفضائل والمكارم التي نالتها أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها يطول ذكرها فقد ذكرت غيضا من فيض فضائلها لأن ضرورة البحث دعت للاختصار في ذلك.

المبحث الأول: أصل الإنصاف في الشريعة الإسلامية.

المطلب الأول: الإنصاف في القرآن الكريم.

ذكر لنا القرآن الكريم صورا عظيمة في الإنصاف نوجزها في الآتي:

١-قوله تبارك وتعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَى أَنْفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ ان يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيراً فَاللَّهُ أَوْلَى بِهِما فَلا تَتَّبِعُوا الْهَوَى ان تَعْدِلُوا وَانْ تَلْوُوا أَوْ تُعْرِضُوا فَانَّ اللَّهَ كانَ بِما تَعْمَلُونَ خَبِيراً﴾(١٧).

في الآية أمر من الله تعالى للمؤمنين أن تكون الشهادة لله تعالى وأن يقولوا الحق ولو كان ضد مصالحهم الشخصية أو ضد من يحبونه من آبائهم وأقربائهم، وعلى ألا يحابوا غنيا لغناه على مسكين، ولا فقيرا لفقره ومسكنته على غني، وذلك؛ كي لا يقعوا في الجور والظلم باتباعهم هوى أنفسهم.

ولتأكيد هذا المعنى وهو القيام بالقسط والشهادة بالعدل ذكر أنه حتى ولو كان على النفس التي لا يعدلها في الحياة شيء، ثم ثنى بالوالدين حتى لا يظن ظان أن الشهادة بالحق ضد الوالدين تخالف برهما وتنزل من قدرهما، ثم ذكر الأقربين الذين هم مظنة المحبة والتعصب ليبين أن الشهادة على غيرهما أحرى وأكد.

قال القرطبي: «إن شهادة الولد على الوالدين ماضية، ولا يمنع ذلك من برهما، بل من برهما أن يشهد عليهما ويخلصهما من الباطل»(١٨).

٢- قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَى أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾(١٩).

قال الطبري: يعني بذلك -جل ثناؤه- يا أيها الذين آمنوا بالله وبرسوله محمد صلى الله عليه وسلم، ليكن من أخلاقكم وصفاتكم القيام لله شهداء بالعدل في أوليائكم وأعدائكم، ولا تجوروا في أحكامكم وأفعالكم فتجاوزوا ما حددت لكم في أعدائكم؛ لعدواتهم لكم، ولا تقصروا فيما حددت لكم من أحكامي وحدودي في أوليائكم؛ لولايتهم لكم، ولكن انتهوا في جميعهم إلى حدي، واعملوا فيه بأمري(٢٠).

٣- إنصاف الله عز وجل اليهودي الذي أتهم باطلا بالسرقة، وذم من شهد ضده باطلا بقوله عز وجل:﴿وَمَن يَكْسِبْ خَطِيئَةً أَوْ إِثْمًا ثُمَّ يَرْمِ بِهِ بَرِيئًا فَقَدِ احْتَمَلَ بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُّبِينًا﴾(٢١).

ففي إنصاف الله تعالى لهذا اليهودي ضد مسلم في وقت كان اليهود ينشرون الأكاذيب عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ويشككون في دعوته، ويؤلبون الناس وينشرون الاشاعات لأكبر دليل على أهمية الإنصاف والعدل في حالة البغضاء والحب وفي حالة الصداقة والعداوة.

قال ابن تيمية -رحمه الله- قال: فنهى أن يحمل المؤمنين بغضهم للكفار على ألا يعدلوا، فكيف إذا كان البغض لفاسق أو مبتدع متأول من أهل الإيمان؟ فهو أولى أن يجب عليه ألا يحمله ذلك على ألا يعدل على مؤمن وإن كان ظالما له(٢٢).

وزد على كلام ابن تيمية لو كان المخالف في أمر دنيوي أو لتنافس دنيوي فعدم إنصافه أعظم وأدهى.

٤- إن القرآن أنصف الديانات السماوية الأخرى لأنه أمر المسلمين بالإيمان بأنبيائها ورسلها جميعاً عليهم أفضل الصلاة وأتم التسليم قال تعالى: ﴿قُولُواْ آمَنَّا بِاللّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالأسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَى وَعِيسَى وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لاَ نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾(٢٣).

٥- مع شدة العداوة التي يكنها بنو إسرائيل للإسلام والمسلمين إلا أن القرآن أنصف من أحسن وأهتدى منهم فقال تعالى: ﴿وَمِنْ قَوْمِ مُوسَى أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ﴾(٢٤)، فكُره بني إسرائيل للإسلام، وكونُهم أشدَّ الناس عداوة للإسلام والمسلمين، لم يمنع من إنصافهم ومدح من أهتدى منهم.

٦- ثناء القرآن الكريم على مؤمني النصارى وبيان ما أعد الله لهم ﴿وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُمْ مَوَدَّةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَى ذَلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنْزِلَ إِلى الرَّسُولِ تَرَى أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ وَمَا لَنَا لَا نُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَمَا جَاءَنَا مِنَ الْحَقِّ وَنَطْمَعُ أَنْ يُدْخِلَنَا رَبُّنَا

مَعَ الْقَوْمِ الصَّالِحِينَ فَأَثَابَهُمُ اللَّهُ بِمَا قَالُوا جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ جَزَاءُ الْمُحْسِنِينَ﴾[٢٥][٢٦].

المطلب الثاني: الإنصاف في السنة النبوية.

١- عن أنس بن مالك -رضي الله عنه- أن النبيَّ -صلى الله عليه وسلم- قال: (لا يُؤْمِنُ أحدُكم حتَّى يُحِبَّ لأخيه ما يُحِبُّ لنفسِه)[٢٧].

٢- عن عبدالله بن عمرو بن العاص -رضي الله عنهما- عن النبيّ -صلى الله عليه وسلم- قال: (فمَنْ أحبَّ أنْ يُزَحْزَحَ عنِ النَّارِ ويُدْخَلَ الجنَّةَ، فلتَأْتِه مَنيَّتُه وهو يُؤمِنُ باللهِ واليوم الآخِرِ، ولْيَأتِ إلى النَّاسِ الَّذِي يُحبُّ أنْ يُؤتَى إليه)[٢٨].

٣- حديث يزيدَ بن أسد القسريِّ -رضي الله عنه- قال: قال لي رسولُ الله- صلى الله عليه وسلم-: «أَتُحِبُّ الجنَّةَ؟»، قلت: نعم، قال: «فَأَحِبَّ لأخيك مَا تُحِبُّ لنفسِكَ»[٢٩].

هذا هو منتهى الإنصاف أن تحب لأخيك ما تحب لنفسك وهو طريقك للجنة وهو من تمام الإيمان.

٤- عن عبدالله بن مسعود -رضي الله عنه- قال: «من أحب أن يُنْصِفَ الله من نَفْسِهِ فليَأتِ إلى النَّاس الذي يُحِبُّ أن يُؤْتَى إليه»[٣٠].

٥- عن ثوبان رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «يُقبل الجبار تبارك وتعالى يوم القيامة، فيثني رجله على الجسر، فيقول: وعزتي وجلالي لا يجاوزني ظلم ظالم فينصف الخلق بعضهم من بعض، حتى إنه ينصف الشاة الجماء من الشاة العضباء بنطحة تنطحها»[٣١].

٦- عن عمار بن ياسرقال: «ثلاث من جمعهن فقد جمع الإيمان: الإنصاف من نفسك، وبذل السلام للعالم، والإنفاق من الإقتار»[٣٢].

المطلب الثالث: أقوال أهل العلم في أهمية الإنصاف.

قال محمد بن سيرين -رحمه الله-: «ظلم لأخيك أن تذكر منه أسوأ ما رأيت وتكتم خيره»[٣٣].

قال سفيان الثوري-رحمه الله-: «عند ذكر الصالحين تنزل الرحمة، ومن لم يحفظ من أخبارهم إلا ما بدر من بعضهم في بعض على الحسد والهفوات والتعصب والشهوات دون أن يعي بفضائلهم حرم التوفيق ودخل في الغيبة وحاد عن الطريق»[٣٤].

قال أبو الزناد بن سراج وغيره: «إن العبد إذا اتصف بالإنصاف لم يترك لمولاه حقا إلا أداه، ولم يترك شيئا مما نهاه عنه إلا اجتنبه، وهذا يجمع أركان الإيمان»[٣٥].

قال ابنُ حزم -رحمه الله-: «مَن أراد الإنصافَ، فليتوهَّم نفسَه مكان خَصمه؛ فإنه يلُوح له وجهُ تعسُّفه»[٣٦].

وقال ابنُ القيّم -رحِمه الله-: «والإنصافُ أن تكتالَ لمنازِعك بالصاع الذي تكتال به لنفسِك؛ فإنَّ في كل شيء وفاءً وتطفيفًا»[٣٧].

المبحث الثاني: إنصاف أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها مع ضرائرها.

الغيرة والتنافس بين النساء أمر جُبلت عليه المرأة، وهي بين الضرائر أشد ظهورا وأقوى عاطفة، وقد كان يعتري زوجات النبي صلى الله عليه وسلم ما يعتري الضرائر من الغيرة والتنافس، لكن بحكم التربية الإيمانية وبحكم ما تمتعن به من أخلاق عالية وزهد في الدنيا وابتغاء ما عند الله عز وجل من الأجر العظيم فإنهن جاهدن هذه المشاعر ولم يستسلمن لها فلم تؤثر في مشاعرهن ومحبتهن بل كن منصفات لبعضهن فلم يغمطن لبعض حقا ولم يكتمن لبعض فضلا فكن خير مثال للتنافس الشريف وللموضوعية والإنصاف عند الاختلاف.

سأعرض في هذا المبحث إنصاف أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها ضرائرها من نساء النبي صلى الله عليه وسلم باستعراض بعض الأحاديث الدالة على ذلك؛ وما ذلك إلا إبرازا وتأكيدا لمبدأ الإنصاف مع المخالف لأنه لا يتبين عظم إنصاف الشخص وعدله إلا مع منافسه أو مخالفه.

المطلب الأول: إنصافها مع أم المؤمنين خديجة بنت خويلد رضي الله عنها.

نالت أم المؤمنين خديجة بنت خويلد منزلة عظيمة في الإسلام وفي نفس زوجها المحب فقد ذكرت لنا كتب السنة الكثير عن فضائلها ومكارمها وكانت ضرتها أم المؤمنين عائشة من أكثر من روى هذه الفضائل والمناقب.

قد يتعجب القارئ من ذلك فأقول له نعم لولا ضرتها عائشة رضي الله عنها لجهلنا الكثير عن فضائلها وجهودها في بداية الدعوة وعن حب رسول الله صلى الله عليه وسلم لها، فقد تفردت بذكر أكثر فضائلها، بل أن ما نقله غيرها من الصحابة عن أم المؤمنين خديجة من فضائل قد شاركتهم في روايتها إلا حديثاً واحداً.

وقد يزداد العجب عندما يعرف بأنها لم تغر من امرأة قط كما غارت من خديجة وهذا ما ذكرته عن نفسها في أكثر من رواية لها. فمع هذه الغيرة الداعية للتعصب واتباع الهوى نرى موضوعيةً وانصافاً منقطعا النظير لا يصدران إلا من نفسٍ قويةٍ مؤمنةٍ منصفةٍ تبتغي ما عند الله تعالى.

الأحاديث التي وردت في فضائل أم المؤمنين خديجة رضي الله عنها التي تفردت أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها بروايتها:

فقد روى البخاري في صحيحه سبعة أحاديث في فضائل خديجة رضي لله عنها روت منها عائشة رضي الله عنها أربعة أحاديث، وروى مسلم في صحيحه عن فضلها عشرة أحاديث روت منها عائشة رضي الله عنها ستة أحاديث.

الحديث الأول: عن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها أنها قالت: كَانَ أَوَّلُ مَا بُدِئَ بِهِ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ الْوَحْيِ الرُّؤْيَا الصَّادِقَةَ فِي النَّوْمِ فَكَانَ لَا يَرَى رُؤْيَا إِلَّا جَاءَتْ مِثْلَ فَلَقِ الصُّبْحِ، ثُمَّ حُبِّبَ إِلَيْهِ الْخَلَاءُ فَكَانَ يَخْلُو بِغَارِ حِرَاءٍ يَتَحَنَّثُ فِيهِ -وَهُوَ التَّعَبُّدُ- اللَّيَالِيَ أُوْلَاتِ الْعَدَدِ قَبْلَ أَنْ يَرْجِعَ إِلَى أَهْلِهِ وَيَتَزَوَّدُ لِذَلِكَ، ثُمَّ يَرْجِعُ إِلَى خَدِيجَةَ فَيَتَزَوَّدُ لِمِثْلِهَا حَتَّى فَجِئَهُ الْحَقُّ وَهُوَ فِي غَارِ حِرَاءٍ فَجَاءَهُ الْمَلَكُ فَقَالَ: اقْرَأْ، قَالَ: مَا أَنَا بِقَارِئٍ. قَالَ: فَأَخَذَنِي فَغَطَّنِي حَتَّى بَلَغَ مِنِّي الْجَهْدَ ثُمَّ أَرْسَلَنِي، فَقَالَ: اقْرَأْ، قَالَ: قُلْتُ: مَا أَنَا بِقَارِئٍ، قَالَ: فَأَخَذَنِي فَغَطَّنِي الثَّانِيَةَ حَتَّى بَلَغَ مِنِّي الْجَهْدَ ثُمَّ أَرْسَلَنِي، فَقَالَ: أَقْرَأْ، فَقُلْتُ: مَا أَنَا بِقَارِئٍ. فَأَخَذَنِي فَغَطَّنِي الثَّالِثَةَ حَتَّى بَلَغَ مِنِّي الْجَهْدَ ثُمَّ أَرْسَلَنِي فَقَالَ: {اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ. خَلَقَ الْإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ. اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ. الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ. عَلَّمَ الْإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ}(٣٨). فَرَجَعَ بِهَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تَرْجُفُ بَوَادِرُهُ حَتَّى دَخَلَ عَلَى خَدِيجَةَ، فَقَالَ: زَمِّلُونِي زَمِّلُونِي، فَزَمَّلُوهُ حَتَّى ذَهَبَ عَنْهُ الرَّوْعُ، ثُمَّ قَالَ لِخَدِيجَةَ: أَيْ خَدِيجَةُ مَا لِي وَأَخْبَرَهَا الْخَبَرَ، قَالَ: لَقَدْ خَشِيتُ عَلَى نَفْسِي، قَالَتْ لَهُ خَدِيجَةُ: كَلَّا أَبْشِرْ فَوَاللَّهِ لَا يُخْزِيكَ اللَّهُ أَبَدًا، وَاللَّهِ إِنَّكَ لَتَصِلُ الرَّحِمَ، وَتَصْدُقُ الْحَدِيثَ، وَتَحْمِلُ الْكَلَّ، وَتَكْسِبُ الْمَعْدُومَ، وَتَقْرِي الضَّيْفَ، وَتُعِينُ عَلَى نَوَائِبِ الْحَقِّ. فَانْطَلَقَتْ بِهِ خَدِيجَةُ حَتَّى أَتَتْ بِهِ وَرَقَةَ بْنَ نَوْفَلِ بْنِ أَسَدِ بْنِ عَبْدِ الْعُزَّى وَهُوَ ابْنُ عَمِّ خَدِيجَةَ أَخِي أَبِيهَا وَكَانَ امْرَأً تَنَصَّرَ فِي الْجَاهِلِيَّةِ، وَكَانَ يَكْتُبُ الْكِتَابَ الْعَرَبِيَّ، وَيَكْتُبُ مِنْ الْإِنْجِيلِ بِالْعَرَبِيَّةِ مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ يَكْتُبَ، وَكَانَ شَيْخًا كَبِيرًا قَدْ عَمِيَ فَقَالَتْ لَهُ خَدِيجَةُ: أَيْ عَمِّ اسْمَعْ مِنْ ابْنِ أَخِيكَ قَالَ وَرَقَةُ بْنُ نَوْفَلٍ: يَا ابْنَ أَخِي مَاذَا تَرَى؟ فَأَخْبَرَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خَبَرَ مَا رَآهُ فَقَالَ: لَهُ وَرَقَةُ هَذَا النَّامُوسُ الَّذِي أُنْزِلَ عَلَى مُوسَى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَا لَيْتَنِي فِيهَا جَذَعًا يَا لَيْتَنِي أَكُونُ حَيًّا حِينَ يُخْرِجُكَ قَوْمُكَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أَوَ مُخْرِجِيَّ هُمْ،

قَالَ وَرَقَةُ: نَعَمْ، لَمْ يَأْتِ رَجُلٌ قَطُّ بِمَا جِئْتَ بِهِ إِلَّا عُودِيَ وَإِنْ يُدْرِكْنِي يَوْمُكَ أَنْصُرْكَ نَصْرًا مُؤَزَّرًا(٣٩).

لم يوثق أحد الدور العظيم الذي قامت به أم المؤمنين خديجة في بداية الدعوة وأنها كانت أول من آمن بالنبي صلى الله عليه وسلم إلا أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها في حديث بدء الوحي ذلك الحديث الذي وثق الكلمات الخالدة التي قالتها للنبي صلى الله عليها وسلم لتشد من أزره وما فعلته لتثبت فؤاده.

يقول الإمام الزهري –أحد رواة هذا الحديث–: «كانت خديجة –رضي الله عنها– أول من آمن برسول الله صلى الله عليه وسلم»(٤٠).

كذلك بينت رضي الله عنها أن النبي صلى الله عليه وسلم عند خوفه وهلعه لم يلجأ لقريب ولا لصديق من عم أو ابن عم، بل ذهب لزوجه الحنونة الرشيدة السديدة لما عرفه عنها من شفقة وحب ولأنه عرف أن هذا الأمر الخارق لن يصدقه منه إلا محب صادق الحب مؤمنا به وبصدقه وكمال عقله وكان ما توقعه، فقد ذكرت أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها سرعة تجاوبها له بقولها: «قال: زَمِّلُونِي، فَزَمَّلُوهُ حَتَّى ذَهَبَ عَنْهُ الرَّوْعُ» ثم ذكرت صبرها و تحملها وبقاءها بجانبه حتى ذهب عنه الورع.

ثم ذكرت ثقة النبي صلى الله عليه وسلم بأنه أخبرها الخبر كاملا، ثم نقل خوفه من هذا الأمر على نفسه لها، وكيف طيبت نفسه بكلمات خلدها التاريخ ازالت بها خوفه واذهبت بها همه، ثم كيف تحملت مشقة الذهاب به إلى من قد يساعدها في تثبيت فؤاده وشرح هذا الأمر الخارق له.

فأي إنصاف أعظم من أن تسطر ضرةٌ حديثا يتناقله الناس في فضل ضرتها؛ بل تكرر اسمها مرارا وتكرارا في ثنايا حديثها، فقد جاء اسم (خديجة) على لسان أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها في هذا الحديث ثمان مرات، ونحن نعلم أن المنافس أو المخالف لا يتحمل ذكر اسم من ينافسه وهذا إن دل فإنه يدل على ما تكنه أم المؤمنين عائشة لأم المؤمنين خديجة رضي الله عنهما من حب وتقدير واعتراف بالفضل وتعظيم لدورها العظيم في بداية الدعوة وتثبيت فؤاد النبي صلى الله عليه وسلم.

الحديث الثاني: عن عائشة رضي الله عنها: «اسْتَأْذَنَتْ هَالَةُ بِنْتُ خُوَيْلِدٍ أُخْتُ خَدِيجَةَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَعَرَفَ اسْتِئْذَانَ خَدِيجَةَ فَارْتَاحَ لِذَلِكَ فَقَالَ اللَّهُمَّ هَالَةُ بِنْتُ خُوَيْلِدٍ فَغِرْتُ فَقُلْتُ وَمَا تَذْكُرُ مِنْ عَجُوزٍ مِنْ عَجَائِزِ قُرَيْشٍ حَمْرَاءِ الشِّدْقَيْنِ هَلَكَتْ فِي الدَّهْرِ فَأَبْدَلَكَ اللَّهُ خَيْرًا مِنْهَا»(٤١).

قال النووي: قوله «فَارْتَاحَ لِذَلِكَ» أي هش لمجيئها، وسر بها لتذكره بها خديجة وأيامها. وفي هذا كله دليل لحسن العهد، وحفظ الود، ورعاية حرمة الصاحب والعشير في حياته ووفاته، وإكرام أهل ذلك الصاحب(٤٢).

قوله «عَجُوزٍ مِنْ عَجَائِزِ قُرَيْشٍ حَمْرَاءِ الشِّدْقَيْنِ» معناه عجوز كبيرة جدا حتى أن أسنانها قد سقطت من الكبر فلم يبق في شدقها إلا حمار لثتها(٤٣).

وهذه منقبة عظيمة لأم المؤمنين خديجة بنت خويلد سطرتها لنا أم المؤمنين عائشة رضي الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يرتاح لسماع صوت من يشبه صوتها وذلك لما لها في قلبه من المحبة والحنين.

الحديث الثالث: عن عائشة رضي الله عنها قالت: «مَا غِرْتُ(٤٤) عَلَى أَحَدٍ مِنْ نِسَاءِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَا غِرْتُ عَلَى خَدِيجَةَ وَمَا رَأَيْتُهَا وَلَكِنْ كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُكْثِرُ ذِكْرَهَا وَرُبَّمَا ذَبَحَ الشَّاةَ ثُمَّ يُقَطِّعُهَا أَعْضَاءً ثُمَّ يَبْعَثُهَا فِي صَدَائِقِ(٤٥) خَدِيجَةَ فَرُبَّمَا قُلْتُ لَهُ كَأَنَّهُ لَمْ يَكُنْ فِي الدُّنْيَا امْرَأَةٌ إِلَّا خَدِيجَةُ فَيَقُولُ: إِنَّهَا كَانَتْ وَكَانَتْ وَكَانَ لِي مِنْهَا وَلَدٌ»(٤٦).

قال ابن حجر: في هذه الأحاديث المتقدمة ثبوت الغيرة وأنه غير مستنكر وقوعها من فاضلات النساء فضلاً عمن دونهن، وأن عائشة كانت تغار من نساء النبي صلى الله عليه وسلم لكن كانت تغار من خديجة أكثر، وقد بينت ذلك وأنه لكثرة ذكر النبي صلى الله عليه وسلم إياها... وأصل غَيْرَةِ المرأة من تخيل محبة غيرها أكثر منها، وكثرة الذكر تدل على كثرة المحبة(٤٧).

وسبب غيرة أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها منها؛ هي شعورها باستمرار حب النبي صلى الله عليه وسلم لخديجة رضي الله عنها حتى بعد مماتها، فإنه لا يترك فرصة إلا ويذكرها

ويثني عليها ويتعاهد صويحباتها بالهدية بل ييش ويفرح بكل من يذكره بها، فدار في خلدها وهي المحبوبة والأثيرة عند زوجها إن زوجها يحب زوجته خديجة أكثر منها وأنها عجزت بحبها له أن تنسيه ذلك الحب.

لكن اتضح لها أن حب النبي صلى الله عليه وسلم لخديجة وحسن عهده بها كانت له أسبابه القوية فقد آمنت به عند تكذيب أقرب الناس به وآزرته بمالها عندما تخلى عنه الناس وتحملت المشقة والأذى في سبيل دعوته وأنها أم أولاده وزوجته الحنونة العطوف المحبة.

فآمنت واعترفت أم المؤمنين عائشة بفضل أم المؤمنين خديجة رضي الله عنهما واستحقاقها لهذا الحب وهذا الوفاء بروايتها لهذه الأحاديث فنقلت لنا حب النبي صلى الله عليه وسلم لأم المؤمنين خديجة رضي الله عنها ففي روايتها لهذه الأحاديث إقرار منها بفضلها.

الحديث الرابع: عن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها قالت: «ما غرت على نساء النبي صلى الله عليه وسلم إلا على خديجة وإني لم أدركها قالت: وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا ذبح الشاة فيقول: أرسلوا بها إلى أصدقاء خديجة، قالت: فَأَغْضَبْتُهُ يوماً فقلت: خديجة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: إِنِّي قَدْ رُزِقْتُ حُبَّهَا»[٤٨].

وقول النبي صلى الله عليه وسلم «إِنِّي قَدْ رُزِقْتُ حُبَّهَا» فيه إشارة إلى أن حبها فضيلة حصلت[٤٩]. يراجع قول النووي

وقال ابن العربي عند ذكر فضائلها: «كان النبي صلى الله عليه وسلم قد انتفع بخديجة برأيها ومالها ونصرها؛ فرعاها حية وميتة، برها موجودة ومعدومة، وأتى بعد موتها ما يعلم أن يسرها لو كان في حياتها»[٥٠].

والأحاديث السابقة والتي تليها تشرح الأسباب التي استحقت بها أم المؤمنين خديجة رضي لله عنها هذا الفضيلة وهي حب نبيها وزوجها صلى الله عليه وسلم لها.

الحديث الخامس: عن عائشة رضي الله عنها قالت: «مَا غِرْتُ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى امْرَأَةٍ مِنْ نِسَائِهِ مَا غِرْتُ عَلَى خَدِيجَةَ لِكَثْرَةِ ذِكْرِهِ إِيَّاهَا وَمَا رَأَيْتُهَا قَطُّ»[٥١].

قال ابن حجر: قال القرطبي: ومرادها بالذكر لها مدحها والثناء عليها[٥٢]. ثم عقب

عليه الحافظ ابن حجر: أنه وقع في رواية النسائي «من كثرة ذكره إياها وثنائه عليها» فعطف الثناء على الذكر من عطف الخاص على العام وهو يقتضي حمل الحديث على أعم مما قاله القرطبي[٥٣].

الحديث السادس: عن عائشة رضي الله عنها قالت: «لَمْ يَتَزَوَّجْ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى خَدِيجَةَ حَتَّى مَاتَتْ»[٥٤].

قال الحافظ ابن حجر: «وهذا مما لا اختلاف فيه بين أهل العلم بالأخبار، وفيه دليل على عظم قدرها عنده وعلى مزيد فضلها لأنها أغنته عن غيرها واختصت به بقدر ما اشترك فيه غيرها مرتين، لأنه صلى الله عليه وسلم عاش بعد أن تزوجها ثمانية وثلاثين عاماً، انفردت خديجة منها بخمسة وعشرين عاماً وهي نحو الثلثين من المجموع، ومع طول المدة فصان قلبها فيها من الغيرة ومن نكد الضرائر الذي ربما حصل له هو منه ما يشوش عليه بذلك. وهي فضيلة لم يشاركها فيها غيرها»[٥٥].

الحديث السابع: عن عائشة رضي الله عنها قالت: «كان النبي صلى الله عليه وسلم إِذَا ذَكَرَ خَدِيجَةَ أَثْنَى عَلَيْهَا فَأَحْسَنَ الثَّنَاءَ قَالَتْ فَغِرْتُ يَوْماً فَقُلْتُ مَا أَكْثَرَ مَا تَذْكُرُهَا حَمْرَاءَ الشِّدْقِ قَدْ أَبْدَلَكَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ بِهَا خَيْراً مِنْهَا قَالَ مَا أَبْدَلَنِي اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ خَيْراً مِنْهَا قَدْ آمَنَتْ بِي إِذْ كَفَرَ بِي النَّاسُ وَصَدَّقَتْنِي إِذْ كَذَّبَنِي النَّاسُ وَوَاسَتْنِي بِمَالِهَا إِذْ حَرَمَنِي النَّاسُ وَرَزَقَنِي اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ وَلَدَهَا إِذْ حَرَمَنِي أَوْلَادَ النِّسَاءِ»[٥٦].

الغيرة بين الأزواج أمر ممدوح يدل على المحبة والاهتمام وكلاهما معذور في غيرته على الآخر عند وجود المثير فالغيرة المحمودة هي أنفة وحمية تعتري الزوجة عندما تشاهد ما يثير غيرتها على زوجها منشأها حب الزوج، ولها وقع جميل في نفس الزوج لأنها تدل على محبة زوجته له وأنها تهتم لأمره.

لكن الغيرة المكروهة هي التي تؤدي إلى المكائد وإلى الجور والظلم والانتقاص وكتم الفضائل وإلى البغض والعداوة وهذه منشؤها حب الذات وحب التملك والأنانية، ولها وقع سيئ في نفس الزوج.

فعند قراءتنا للأحاديث السابقة قد تستوقفنا غيرة عائشة من خديجة رضي الله عنهما بداية الأمر. لكن لو تأملناها بعين المبصر والمنصف لن نتوقف عند غيرتها –لأن هذا أمر

طبيعي جُبلت عليه النساء لا يقدح فيهن- لكن سنتوقف عند انصافها العظيم لضرة لم تغر على النبي صلى الله عليه وسلم من ضرائرها مثل ما غارت منها.

حيث اعترفت بغيرتها وما حصل منها من كلام في حق ضرتها وكيف غضب النبي صلى الله عليه وسلم وامتعض من كلامها فقال كلمته الخالدة في حق أم المؤمنين خديجة ذاكرا فضائلها وكل فضيلة أعظم من الأخرى.

فغيرتها التي حملتها على هذا القول لم تحملها على كتم ما سمعته من فضائل أم المؤمنين خديجة لأنها تعرف أنها معذورة في غيرتها على زوجها من أن يحب غيرها لاسيما وهي الحبيبة، لكنها تعرف أنها غير معذورة لو غمطت لأم المؤمنين خديجة فضلها وكتمت ما قيل في حقها؛ وخاصة بعد ما صدر منها من كلام.

نعم أم المؤمنين عائشة ضعفت واستسلمت لغيرتها ومشاعرها كزوجة محبة محبوبة فقالت ما قالت، لكن هذا الاستسلام لم يدم إلا لحظات وزال، وبقي الإيمان وما تربت عليه من أخلاق عالية فظهر خلق الإنصاف جليا في حديثها عن ضرتها.

إنها الأنفس القوية التي تظهر الحق وتشهد به ولو كان ظهوره قد يشكل نقدا لها عند الذين يقفون عند ظواهر النصوص دون الغوص في بواطنها ومعرفة مغزاها والقيمة الحقيقية الكامنة فيها.

ففي روايتها لهذه الأحاديث وتفصيلها لثناء النبي صلى الله عليه وسلم على خديجة رضي الله عنها أكبر دليل على انصافها.

الحديث الثامن: عن عائشة رضي الله عنها قالت: «أَنَّ أَبَا الْعَاصِ بْنَ الرَّبِيعِ كَانَ فِيمَنْ شَهِدَ بَدْرًا مَعَ الْمُشْرِكِينَ، فَأَسَرَهُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ جُبَيْرِ بْنِ النُّعْمَانِ الأَنْصَارِيُّ، فَلَمَّا بَعَثَ أَهْلُ مَكَّةَ فِي فِدَاءِ أُسَارَاهُمْ، قُدِّمَ فِي فِدَاءِ أَبِي الْعَاصِ أَخُوهُ عَمْرُو بْنُ الرَّبِيعِ وَبَعَثَتْ مَعَهُ زَيْنَبُ بِنْتُ رَسُولِ اللَّهِ، وَهِيَ يَوْمَئِذٍ بِمَكَّةَ، بِقِلادَةٍ لَهَا كَانَتْ لِخَدِيجَةَ بِنْتِ خُوَيْلِدٍ مِنْ جَزْعِ ظَفَارٍ(٥٧)، وَظَفَارٌ جَبَلٌ بِالْيَمَنِ، وَكَانَتْ خَدِيجَةُ بِنْتُ خُوَيْلِدٍ أَدْخَلَتْهَا بِتِلْكَ الْقِلادَةِ عَلَى أَبِي الْعَاصِ بْنِ الرَّبِيعِ حِينَ بَنَى بِهَا، فَبَعَثَتْ بِهَا فِي فِدَاءِ زَوْجِهَا أَبِي الْعَاصِ، فَلَمَّا رَأَى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْقِلادَةَ عَرَفَهَا وَرَقَّ لَهَا، وَذَكَرَ خَدِيجَةَ وَتَرَحَّمَ عَلَيْهَا، وَقَالَ: إِنْ رَأَيْتُمْ أَنْ

تُطْلِقُوا لَهَا أَسِيرَهَا، وَتَرُدُّوا إِلَيْهَا مَتَاعَهَا فَعَلْتُمْ، قَالُوا: نَعَمْ يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَأَطْلَقُوا أَبَا الْعَاصِ بْنَ الرَّبِيعِ، وَرُدُّوا عَلَى زَيْنَبَ قِلادَتَهَا، وَأَخَذَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى أَبِي الْعَاصِ أَنْ يُخَلِّيَ سَبِيلَهَا إِلَيْهِ، فَوَعَدَهُ ذَلِكَ فَفَعَلَ»[٥٨].

ما زالت أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها ماضية في تسطير وفاء النبي صلى الله عليه وسلم وحبه لأم المؤمنين خديجة رضي الله عنها فتحكي كيف عرف قلادتها، وهذه المعرفة لقلادتها دليل على محبته لها وارتواء عينه من النظر إليها فعرف قلادتها، ورق وبكى عند رؤيتها فقد تذكر الأيام الخوالي مع حبيبته، مما حمله على الترحم عليها و لم تهن عليه هذه القلادة أن تذهب لغريب لا يقدر قيمتها المعنوية كما هي في نفسه وفي نفس ابنته زينب فقال: «إن رأيتم أن تطلقوا لها أسيرها وتردوا إليها متاعها فعلتم».

الحديث التاسع: عن عائشة رضي الله عنها قالت: «جَاءَتْ عَجُوزٌ إِلَى النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم وَهُوَ عِنْدِي، فَقَالَ: لَهَا رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: مَنْ أَنْتِ؟، قَالَتْ: أَنَا جَثَّامَةُ الْمُزَنِيَّةُ[٥٩]، فَقَالَ: بَلْ أَنْتِ حَسَّانَةُ الْمُزَنِيَّةُ، كَيْفَ أَنْتُمْ؟ كَيْفَ حَالُكُمْ؟ كَيْفَ كُنْتُمْ بَعْدَنَا؟، قَالَتْ: بِخَيْرٍ بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَلَمَّا خَرَجَتْ قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، تُقْبِلُ عَلَى هَذِهِ الْعَجُوزِ هَذَا الْإِقْبَالَ؟ فَقَالَ: إِنَّهَا كَانَتْ تَأْتِينَا زَمَنَ خَدِيجَةَ، وَإِنَّ حُسْنَ الْعَهْدِ مِنَ الْإِيمَانِ»[٦٠].

ومما سبق ذكره تبين لنا تفرد أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها بذكر الكثير من فضائل أم المؤمنين خديجة رضي الله عنها؛ ومن هذه الفضائل:

أن خديجة أول من آمنت بالله ورسوله، وأول من صدَّق محمد صلى الله عليه وسلَّم فيما جاء به عن ربه.

أنها آزرته بمالها ودعائها.

تحمَّلت معه الأذى، والتكذيب، والتضييق، والتنكيل.

أنها كانت تصبِّره، وتخفف عنه، وتواسيه، وتثبِّته.

أنه كان يبش لسماع صوت من يذكرها به.

أنه كان يذبح الذبيحة ويقسمها بين صويحباتها ومعارفها.

أنه كان يكثر من ذكرها بدرجة كبيرة لم يحتملها قلب عائشة رضي الله عنها.

أنه كان يثني عليها دائما ويعدد فضائلها.

أنه لم يتزوج عليها في حياتها صيانة لقلبها من الكدر.

أنه لم يرزق بالولد إلا منها باستثناء ولده إبراهيم.

أنه يبكي عند رؤية ما يذكره بها كحاله عندما رأى قلادتها.

يكثر من الدعاء لها والترحم عليها.

أحاديث شاركت أم المؤمنين عائشة رضي لله عنها الصحابة في روايتها عن فضل أم المؤمنين خديجة رضي الله عنها:

الحديث الأول: رواه أبو هريرة رضي الله قال: «أَتَى جِبْرِيلُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ هَذِهِ خَدِيجَةُ قَدْ أَتَتْكَ مَعَهَا إِنَاءٌ فِيهِ إِدَامٌ أَوْ طَعَامٌ أَوْ شَرَابٌ فَإِذَا هِيَ أَتَتْكَ فَاقْرَأْ عَلَيْهَا السَّلَامَ مِنْ رَبِّهَا عَزَّ وَجَلَّ وَمِنِّي وَبَشِّرْهَا بِبَيْتٍ فِي الْجَنَّةِ مِنْ قَصَبٍ لَا صَخَبَ فِيهِ وَلَا نَصَبَ»(٦١). وروي أيضا عن عبدالله بن أبي أوفى أنه سئل: «أكان رسول الله صلى الله عليه وسلم بشر خديجة ببيت في الجنة؟ قال: نعم بشرها ببيت في الجنة من قصب لا صخب فيه ولا نصب»(٦٢).

فقد شاركت أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها أبا هريرة وابن أبي أوفى رضي الله عنهما في روايتهما لهذا الحديث:

فقد جاء عنها أنها قالت: «مَا غِرْتُ عَلَى امْرَأَةٍ مَا غِرْتُ عَلَى خَدِيجَةَ مِنْ كَثْرَةِ ذِكْرِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِيَّاهَا، قَالَتْ: وَتَزَوَّجَنِي بَعْدَهَا بِثَلَاثِ سِنِينَ، وَأَمَرَهُ رَبُّهُ عَزَّ وَجَلَّ أَوْ جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَام أَنْ يُبَشِّرَهَا بِبَيْتٍ فِي الْجَنَّةِ مِنْ قَصَبٍ»(٦٣).

قال النووي: وقوله: (ببيت من قصب) قال جمهور العلماء المراد به قصب اللؤلؤ المجوف كالقصر المنيف، وقيل قصب من ذهب منظوم بالجوهر. قال أهل اللغة: القصب

من الجوهر ما استطال منه في تجويف. قالوا: ويقال لكل مجوف قصب وقد جاء في الحديث مفسرا ببيت من لؤلؤة، وفسروه بمجوفة. قال الخطابي وغيره: المراد بالبيت هنا القصر(٦٤).

قال السهيلي في النكتة في قوله (من قصب): لم يقل من لؤلؤ لأن في لفظ القصب مناسبة لكونها أحرزت قصب السبق بمبادرتها إلى الإيمان دون غيرها(٦٥).

وأما (الصخب) -بفتح الصاد والخاء- هو الصوت المختلط المرتفع، و(النصب) المشقة والتعب، ويقال فيه: (نصب) بضم النون وإسكان الصاد وبفتحهما، لغتان، حكاهما القاضي وغيره كالحزن، والحزن، والفتح أشهر وأفصح، وبه جاء القرآن(٦٦).

وفي ذلك منقبتان عظيمتان لأم المؤمنين خديجة رضي الله عنها شاركت أم المؤمنين في ذكرها وهما:

الأولى: إرسال الرب جل وعلا سلامه عليها مع جبريل وإبلاغ النبي صلى الله عليه وسلم لذلك.

الثانية: البشرى لها ببيت في الجنة من قصب لا صخب فيه ولا نصب.

الحديث الثاني: عن علي بن أبي طالب –رضي الله عنه– حيث قال: «سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: خَيْرُ نِسَائِهَا مَرْيَمُ بِنْتُ عِمْرَانَ وَخَيْرُ نِسَائِهَا خَدِيجَةُ بِنْتُ خُوَيْلِدٍ»(٦٧). ورواه أنس بن مالك(٦٨) وابن عباس(٦٩) رضي الله عنهم

وقد شاركت أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها علي بن أبي طالب وأنس وابن عباس رضي الله عنهم في روايتهم لهذا الحديث:

فقد جاء عنها أنها قالت لفاطمة رضي الله عنها: «ألا أُبَشِّرك إني سمِعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: سيدات نِسَاء أهْل الجَنَّة أربع: مريم بنت عمران، وفاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم، وخديجة بنت خُوَيْلد، وآسِية»(٧٠).

والضمير في (نسائها) يعود للسموات والأرض أي خير نساء السموات والأرض مريم بنت عمران وخديجة بنت خويلد رضي الله عنها.

قال القاضي: يحتمل أن يريد أن كل واحدة خير نساء أهل الأرض في وقتها، أو أنها

من خير نسائها وأفضلهن[٧١].

ومما سبق يتضح أن مجموع الأحاديث الصحيحة والثابتة في فضل أم المؤمنين خديجة رضي الله عنها –في حدود بحثي– قد بلغت احدى عشر حديثا، تفردت أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها بتسعة منها وشاركت في اثنين منها عدد من الصحابة.

المطلب الثاني: إنصافها مع أم المؤمنين سَوْدَة بنت زَمْعَة رضي الله عنها.

هي سودة بنت زمعة بن قيس بن عبد شمس بن عبدون بن نصر بن مالك بن حسل بن عامر بن لؤي بن غالب بن فهر، وأمها الشموس بنت قيس بن عمرو بن زيد الأنصارية، كانت عند السكران بن عمرو أخو سهيل بن عمرو فتوفي عنها، وتزوجها النبي صلى الله عليه وسلم بمكة وهي أول امرأة تزوجها بعد خديجة رضي الله عنهن وانفردت به صلى الله عليه وسلم نحواً من ثلاث سنين أو أكثر حتى دخل بعائشة وكانت سيدة جليلة نبيلة، وهي التي وهبت يومها لعائشة رعاية لقلب رسول الله صلى الله عليه وسلم.

وتوفي النبي صلى الله عليه وسلم وهي مع سائر من توفي عنهن من أزواجه رضي الله عنهن وأرضاهن وكانت وفاتها رضي الله عنها في آخر زمن عمر بن الخطاب، وقيل سنة أربع وخمسين في خلافة معاوية رضي الله عنهم أجمعين[٧٢].

روت أم المؤمنين عائشة حديثين في فضل أم المؤمنين سودة بنت زمعة:

الحديث الأول: عن عائشة رضي الله عنها قالت: «مَا رَأَيْتُ امْرَأَةً أَحَبَّ إِلَيَّ أَنْ أَكُونَ فِي مِسْلَاخِهَا مِنْ سَوْدَةَ بِنْتِ زَمْعَةَ مِنْ امْرَأَةٍ فِيهَا حِدَّةٌ قَالَتْ فَلَمَّا كَبِرَتْ جَعَلَتْ يَوْمَهَا مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِعَائِشَةَ قَالَتْ يَا رَسُولَ اللَّهِ قَدْ جَعَلْتُ يَوْمِي مِنْكَ لِعَائِشَةَ فَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقْسِمُ لِعَائِشَةَ يَوْمَيْنِ يَوْمَهَا وَيَوْمَ سَوْدَةَ»[٧٣].

(المسلاخ) –بكسر الميم وبالخاء المعجمة– هو الجلد، ومعناه: أن أكون أنا هي.

قال ابن الأثير: «كأنها تمنت أن تكون في مثل هديها وطريقتها»[٧٤].

قولها (من امرأة فيها حدة) لم ترد عائشة عيب سودة بذلك بل وصفتها بقوة النفس وجودة القريحة[٧٥] والحد –بكسر الحاء– هو المِضَاء في الدِّين والصَّلابة والقَصْد في الخَير[٧٦].

نعم هذه إشادة من أم المؤمنين عائشة لضرتها أم المؤمنين سودة رضي الله عنهما والدليل أنها تمنت أن تكون مثلها وهي ما هي عليه من الفضل.

الحديث الثاني: عن عائشة رضي الله عنها أيضاً قالت: «كان رسول الله، إذا أراد سفراً أقرع بين نسائه، فأيَّتُهُنَّ خَرجَ سهمُها خرجَ بها معه، وكان يقسِم لكلِّ امرأةٍ منهن يومها وليلتها، غير أنَّ سودة بنت زمعة وهبت يومها وليلتها لعائشة زوج النبي صلى الله عليه وسلم تبتغي بذلك رضا رسول الله صلى الله عليه وسلم»[٧٧].

قال ابن القيم رحمه الله: «فلما توفاها الله –يقصد خديجة– تزوج بعدها سودة بنت زمعة وكبرت عنده وأراد طلاقها، فوهبت يومها لعائشة رضي الله عنها فأمسكها وهذا من خواصها أنها آثرت بيومها حب النبي صلى الله عليه وسلم تقرباً إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وحباً له، وإيثارا لمقامها معه، فكان يقسم لنسائه ولا يقسم لها وهي راضية بذلك مؤثرة لرضى رسول الله صلى الله عليه وسلم رضي الله عنها»[٧٨].

وقول ابن القيم (أنه أراد طلاقها) لم تثبت فيه رواية صحيحة لكن الثابت أنها أي سودة خافت أن يطلقها النبي صلى الله عليه وسلم فوهبت ليلتها لعائشة لمعرفتها بحب النبي صلى الله عليه وسلم لها؛ وذلك تقربا منها للنبي صلى الله عليه وسلم لتبقى في زوجاته في الدنيا والآخرة وهذا أن دل فإنه يدل على كمال عقلها ورجاحة تفكيرها وكذا على حبها وتقديرها للنبي صلى الله عليه وسلم ابتغاء مرضاة الله تعالى ويدل على ذلك ما روي عن ابن عباس أنه قال: خشيت سودة أن يطلقها رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت: يا رسول الله لا تطلقني، واجعل يومي لعائشة، ففعل[٧٩].

المطلب الثالث: إنصافها مع أم المؤمنين زينب بنت جحش رضي الله عنها.

هي زينب بنت جَحْش الأسدية. أمها أُميمة بنت عبد المطّلب بن هاشم عمة رسول الله صَلَّى الله عليه وسلم.

تزوَّجها رسولُ الله صَلَّى الله عليه وسلم في سنةِ خمس من الهجرة، ولا خلاف أنها كانت قبْله تحت زيد بن حارثة، وأنها التي ذكر الله تعالى قصتها في القرآن بقوله عز وجل: ﴿فَلَمَّا قَضَىٰ زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَاكَهَا﴾[٨٠]، فلما طلَّقها زيد وانقضَتْ عِدَّتُها تزوّجها رسولُ الله صَلَّى الله عليه وسلم، وأطعم عليها خبزًا ولحمًا.وكانت تفْخَرُ على نساء النّبي

صَلَّى الله عليه وسلم، فتقول: إنّ آباءكن أنكحوكن، وإن الله أنكحني إياه من فوق سبع سماوات.

تُوفيت رضي الله عنها سنة عشرين في خلافة عمر بن الخطّاب، وقيل: بل سنة إحدى وعشرين(٨١).

أثنى النبي صلى الله عليه وسلم عليها بين أزواجه بذكر إحدى مآثرها بصيغة يتحقق تأويلها مستقبلاً وهي الصدقة والإنفاق في سبيل الله.

روت أم المؤمنين عائشة أربع أحاديث في فضل أم المؤمنين زينب بنت جحش حيث وصفتها بصفات تدل على مكارم الأخلاق من بر وتقوى و ورع.

وقد كان أول حديث ذكره مسلم في صحيحه عند الحديث عن فضائل أم المؤمنين زينب بنت جحش من رواية أم المؤمنين عائشة رضي الله عنهما.

الحديث الأول: عن عائشة رضي الله عنها قالت: «قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: أسرعكن لحاقاً بي أطولكن يداً، قالت: فكن يتطاولن أيتهن أطول يداً قالت: فكانت أطولنا يداً زينب لأنها كانت تعمل بيدها وتصدق»(٨٢).

الحديث الثاني: عن عائشة رضي الله عنها قالت: «قال رسول الله صلى الله عليه: أَسْرَعُكُنَّ لَحَاقًا بِي أَطْوَلُكُنَّ يَدًا، قَالَتْ فَكُنَّ يَتَطَاوَلْنَ أَيَّتُهُنَّ أَطْوَلُ يَدًا قَالَتْ فَكَانَتْ أَطْوَلَنَا يَدًا زَيْنَبُ لِأَنَّهَا كَانَتْ تَعْمَلُ بِيَدِهَا وَتَصَدَّقُ»(٨٣). وفي رواية أنها قالت: «فَكُنَّا إِذَا اجْتَمَعْنَا فِي بَيْتِ إِحْدَانَا بَعْدَ وَفَاةِ رَسُولِ اللَّهِ –صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ– نَمُدُّ أَيْدِيَنَا فِي الْجِدَارِ نَتَطَاوَلُ، فَلَمْ نَزَلْ نَفْعَلُ ذَلِكَ حَتَّى تُوُفِّيَتْ زَيْنَبُ بِنْتُ جَحْشٍ زَوْجُ النَّبِيِّ –صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ– وَكَانَتِ امْرَأَةً قَصِيرَةً وَلَمْ تَكُنْ أَطْوَلَنَا، فَعَرَفْنَا حِينَئِذٍ أَنَّ النَّبِيَّ –صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ– إِنَّمَا أَرَادَ بِطُولِ الْيَدِ الصَّدَقَةَ، قَالَ:وَكَانَتْ زَيْنَبُ امْرَأَةً صَنَّاعَةَ الْيَدِ فَكَانَتْ تَدْبُغُ وَتَخْرُزُ وَتَصَدَّقُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ –عَزَّ وجل–»(٨٤).

قال المهلب: اليد في الحديث الإنعام والإفضال(٨٥).

قال النووي: «معنى الحديث أنهن ظنن أن المراد بطول اليد طول اليد الحقيقية وهي الجارحة فكن يذرعن أيديهن بقَصَبة فكانت سودة أطولهن جارحة وكانت زينب أطولهن يداً

في الصدقة وفعل الخير فماتت زينب أولهن فعلموا أن المراد طول اليد في الصدقة والجود... وفيه معجزة باهرة لرسوله صلى الله عليه وسلم ومنقبة ظاهرة لزينب»[٨٦].

وفي ذلك يقول الإمام الذهبي: ويروى عن عائشة أنها قالت: «يرحم الله زينب لقد نالت في الدنيا الشرف الذي لا يبلغه شرف، إن الله زوجها، ونطق به القرآن، وإن رسول الله قال لنا: (أسرعكن بي لحوقاً أطولكن باعاً) فبشرها بسرعة لحوقها به، وهي زوجته في الجنة»[٨٧].

الحديث الثالث: عن عائشة رضي الله عنها -في حديث الإفك- قالت: «كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَسْأَلُ زَيْنَبَ بِنْتَ جَحْشٍ عَنْ أَمْرِي، فَقَالَ: «يَا زَيْنَبُ، مَاذا عَلِمْتِ أو رَأَيْتِ؟»، فَقَالَتْ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَحْمِي سَمْعِي وَبَصَرِي، وَاللَّهِ مَا عَلِمْتُ إِلَّا خَيْرًا، قَالَتْ عائشة: وَهِيَ الَّتِي كَانَتْ تُسَامِينِي مِنْ أَزْوَاجِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَعَصَمَهَا اللَّهُ بِالوَرَعِ»[٨٨].

قولها: (أَحْمِي سَمْعِي وَبَصَرِي) أَيْ: أَحفظ سمعي وبصري مِنْ أن أقول سَمِعْتُ شيئا لم أسمعه، وَأَبْصَرْتُ شيئا لم أبصره.

هذا الحديث بينت فيه أم المؤمنين عائشة ما تتصف به ضرتها -أم المؤمنين زينب- من الورع وهو الخوف مما قد يضرها يوم القيامة، فلم تستغل هذه الفرصة للنيل من ضرتها التي تساميها وتضاهيها في الجمال وفي مكانتها في نفس زوجها صلى الله عليه وسلم بل قالت: ما يرتاح به ضميرها فشهدت بالحق الذي تعلمه عن ضرتها بأنها لم تسمع ولم ترى شيئا مما يقال عنها وأنها ما علمت عنها إلا خيراً.

الحديث الرابع: عن عائشة رضي الله عنها قالت: «أَرْسَلَ أَزْوَاجُ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَاطِمَةَ بِنْتَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَاسْتَأْذَنَتْ عَلَيْهِ وَهُوَ مُضْطَجِعٌ مَعِي فِي مِرْطِي، فَأَذِنَ لَهَا، فَقَالَتْ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّ أَزْوَاجَكَ أَرْسَلْنَنِي إِلَيْكَ يَسْأَلْنَكَ الْعَدْلَ فِي ابْنَةِ أَبِي قُحَافَةَ، وَأَنَا سَاكِتَةٌ، قَالَتْ: فَقَالَ لَهَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أَيْ بُنَيَّةُ أَلَسْتِ تُحِبِّينَ مَا أُحِبُّ، فَقَالَتْ: بَلَى، قَالَ: فَأَحِبِّي هَذِهِ، قَالَتْ: فَقَامَتْ فَاطِمَةُ حِينَ سَمِعَتْ ذَلِكَ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَرَجَعَتْ إِلَى أَزْوَاجِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَأَخْبَرَتْهُنَّ

بِالَّذِي، قَالَتْ: وَبِالَّذِي قَالَ لَهَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقُلْنَ لَهَا: مَا نُرَاكِ أَغْنَيْتِ عَنَّا مِنْ شَيْءٍ، فَارْجِعِي إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقُولِي لَهُ: إِنَّ أَزْوَاجَكَ يَنْشُدْنَكَ الْعَدْلَ فِي ابْنَةِ أَبِي قُحَافَةَ، فَقَالَتْ فَاطِمَةُ: وَاللَّهِ لَا أُكَلِّمُهُ فِيهَا أَبَدًا، قَالَتْ عَائِشَةُ: فَأَرْسَلَ أَزْوَاجُ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ زَيْنَبَ بِنْتَ جَحْشٍ زَوْجَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَهِيَ الَّتِي كَانَتْ تُسَامِينِي مِنْهُنَّ فِي الْمَنْزِلَةِ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَلَمْ أَرَ امْرَأَةً قَطُّ خَيْرًا فِي الدِّينِ مِنْ زَيْنَبَ، وَأَتْقَى لِلَّهِ وَأَصْدَقَ حَدِيثًا، وَأَوْصَلَ لِلرَّحِمِ، وَأَعْظَمَ صَدَقَةً، وَأَشَدَّ ابْتِذَالًا لِنَفْسِهَا فِي الْعَمَلِ الَّذِي تَصَدَّقُ بِهِ، وَتَقَرَّبُ بِهِ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى مَا عَدَا سَوْرَةً مِنْ حِدَّةٍ، كَانَتْ فِيهَا تُسْرِعُ مِنْهَا الْفَيْئَةَ، قَالَتْ: فَاسْتَأْذَنَتْ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَرَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَعَ عَائِشَةَ فِي مِرْطِهَا عَلَى الْحَالَةِ الَّتِي دَخَلَتْ فَاطِمَةُ عَلَيْهَا وَهُوَ بِهَا، فَأَذِنَ لَهَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَتْ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّ أَزْوَاجَكَ أَرْسَلْنَنِي إِلَيْكَ يَسْأَلْنَكَ الْعَدْلَ فِي ابْنَةِ أَبِي قُحَافَةَ، قَالَتْ: ثُمَّ وَقَعَتْ بِي، فَاسْتَطَالَتْ عَلَيَّ، وَأَنَا أَرْقُبُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَأَرْقُبُ طَرْفَهُ، هَلْ يَأْذَنُ لِي فِيهَا؟ قَالَتْ: فَلَمْ تَبْرَحْ زَيْنَبُ حَتَّى عَرَفْتُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَا يَكْرَهُ أَنْ أَنْتَصِرَ، قَالَتْ: فَلَمَّا وَقَعْتُ بِهَا لَمْ أَنْشَبْهَا حَتَّى أَنْحَيْتُ عَلَيْهَا، قَالَتْ: فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: وَتَبَسَّمَ إِنَّهَا ابْنَةُ أَبِي بَكْرٍ...»(٨٩).

سبع خصال عظيمة ذكرتها أم المؤمنين عائشة واصفة ضرتها التي تساميها وهي تحكي موقفا حصل فيه تنازع بينهما، سبع فضائل سطرها التاريخ لأم المؤمنين زينب بنت جحش لولا ضرتها عائشة ما عرفناها:

الأولى: أنها تقاربها منزلة عند رسول الله صلى الله عليه وسلم وهي من ثبت لها أنها حب رسول الله صلى الله عليه وسلم.

الثانية: وصفها بالخيرية في الدين وأنها لم ترَ خيرا منها في الدين وهي التي عاصرت خير القرون من النساء.

الثالثة: من أتقى الناس لله تعالى.

الرابعة: من أصدق الناس حديثا.

الخامسة: من أوصل الناس رحما.

السادسة: من أعظم الناس صدقة.

السابعة: من أشد الناس ابتذالا لنفسها في العمل الذي تصدق به وتقرب به إلى الله تعالى.

و(أتقى، وأصدق، وأوصل وأعظم وأشد) كلها صيغ تفضيل تعني المبالغة في الفعل.

والصفة الوحيدة التي قد يظن السامع أنها قدح في أم المؤمنين زينب وهي قولها (ما عدا سورة من حدة كانت فيها) فقد اعقبتها بقولها (تسرع منها الفيئة) أي أنها سريعة الرجوع عن غضبها وسريع الفيئة يتصف عادة بالعفو والصفح وعدم الحقد.

كما أن هذه الصفة قد تكون اعتذارا من أم المؤمنين عائشة لتصرف أم المؤمنين زينب فكأنها تقول: أن باعث زينب بنت جحش في سبها كان سرعة الغضب فقط، ولم تكن تقصد ما قالته. بدليل أن أم المؤمنين عائشة قد تجاوزت هذا السباب ولم تذكر ما سبتها به من ألفاظ ولم يبق في ذهنها إلا الموقف العام وهو عُظم مكانتها عند حبيبها وزوجها صلى الله عليه وسلم حيث كان الناس يختارون يومها لهداياهم لمعرفتهم بحبه لها.

في هذا الحديث تتجلى قيمة الإنصاف وتظهر، فلا يشتمل على إنصاف ضرة ضرتها فقط بل فيه إنصاف للمخالف والمنازع؛ فقد حصل بينهما نزاع وتلاسن وهذا النزاع لم يفض لحقد أو حسد قد يؤديان لظلم أو غمط الحق، تنازعوا حول مسألة وعندما زالت عرفت كل واحدة فضل الأخرى.

وفي هذا درس عظيم لكل مختلفين بأن لا يتعدى خلافهما حول مسألة إلى النيل من ذوات الأشخاص المختلفين معهم، باستعراض ماضيهم أو رصد حركاتهم لاستخدامها في النيل منهم والانتصار عليهم، بل عليهما التركيز فقط على مسألة الخلاف بأن يدافع كل منهما عن وجهة نظره بأسلوب مقنع فإن زال الخلاف –وهذا هو الأصل بين المؤمنين– ففضل من الله تعالى، وإن بقي الخلاف حفظ كل منهما ما للآخر من المحامد وحجب مساوئ الآخر التي ليست محل الخلاف، فالانتصار الذي يكون بالنيل من ذوات الآخرين وكشف سوأتهم، وتأليب العامة عليهم هو انتصار هوى وليس انتصار حق.

إن المراد بالعدل الذي طلبه أزواج النبي صلى الله عليه وسلم هو أن ألا يخص الناس يوم عائشة بالإهداء للنبي صلى الله عليه وسلم فيه دون باقي أيام زوجاته.

المطلب الرابع: إنصافها مع أم المؤمنين جويرية بنت الحارث رضي الله عنها.

هي جويرية أم المؤمنين بنت الحارث بن أبي ضرار من بني المصطلق سبيت يوم غزوة المريسيع (غزوة بني المصطلق) في السنة الخامسة وكان اسمها: برة، فغير. وكانت من أجمل النساء أتت النبي تطلب منه إعانة في فكاك نفسها، فقال: أو خير من ذلك؟ أتزوجك فأسلمت، وتزوج بها؛ وأطلق لها الأسارى من قومها.

كان أبوها سيدا مطاعا، تزوجها النبي صلى الله عليه وسلم وعمرها عشرين سنة وقد كانت قبله تحت ابن عم لها.

توفيت أم المؤمنين جويرية في سنة خمسين للهجرة. وقيل: توفيت سنة ست وخمسين رضي الله عنها[٩٠].

الحديث: عن عائشة رضي الله عنها قالت: لما قسم رسول الله صلى الله عليه وسلم سبايا بني المصطلق وقعت جويرية بنت الحارث في السهم لثابت بن قيس بن الشماس أو لابن عم له فكاتبته على نفسها وكانت امرأة حلوة ملاحة لا يراها أحد إلا أخذت بنفسه فأتت رسول الله صلى الله عليه وسلم تستعينه في كتابتها قالت عائشة: فوالله ما هو إلا أن رأيتها على باب حجرتي فكرهتها وعرفت أنه سيرى منها رسول الله صلى الله عليه وسلم ما رأيت فدخلت عليه فقالت: يا رسول الله أنا جويرية بنت الحارث بن أبي ضرار سيد قومه وقد أصابني من البلاء ما لم يخف عليك فوقعت في السهم لثابت بن قيس بن الشماس أو لابن عم له، فكاتبته على نفسي فجئتك أستعينك على كتابتي قال: فهل لك في خير من ذلك؟ قالت: وما هو يا رسول الله؟ قال: أقضي عنك كتابتك وأتزوجك قالت: نعم يا رسول الله قد فعلت قالت: وخرج الخبر إلى الناس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم تزوج جويرية ابنة الحارث بن أبي ضرار فقال الناس: أصهار رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأرسلوا ما بأيديهم قالت: فلقد أعتق بتزويجه إياها مائة أهل بيت من بني المصطلق فما أعلم امرأة كانت أعظم على قومها بركة منها) [٩١].

ففي هذا الحديث منقبة ظاهرة لأم المؤمنين جويرية بنت الحارث ذكرتها أم المؤمنين عائشة رضي الله عنهما حيث كان زواجها بالنبي صلى الله عليه وسلم خيراً لها ولقومها؛ فما أن علم الصحابة رضي الله عنهم أجمعين بزواجه بها حتى أعتقوا الأسارى الذين كانوا في أيديهم من قومها إجلالاً وتعظيماً لنبيهم صلى الله عليه وسلم، فكانت هذه المصاهرة خيرا عظيما لقومها.

كما أن في أول الحديث منقبة أخرى وهي ما اتصفت به أم المؤمنين جويرية بنت الحارث من جمال أخاذ وشخصية جذابة، وهذا يدل على أن غيرة أم المؤمنين عائشة كانت غيرة متزنة لا غيرة عمياء تحجب مناقب المنافس أو المخالف لها؛ بل غيرة طبيعية لا تنتهي بالظلم والبهتان بل نهايتها عدل وإنصاف.

المطلب الخامس: إنصافها مع أم المؤمنين ميمونة بنت الحارث رضي الله عنها.

هي أم المؤمنين، ميمونة بنت الحارث بن حَزْن الهلالية، آخر امرأة تزوجها النبي –صلى الله عليه وسلم–، أختها لبابة الكبرى زوجة العباس بن عبد المطلب، و لبابة الصغرى زوجة الوليد بن المغيرة، فهي إذاً خالة عبدالله بن عباس، وخالد بن الوليد رضي الله عنهم.

وأخوات ميمونة لأمها أسماء بنت عميس امرأة جعفر بن أبي طالب، و سلمى بنت عميس الخثعمية زوجة حمزة بن عبد المطلب، و سلامة بنت عميس زوجة عبد الله بن كعب بن منبّه الخثعمي، ولذلك كان النبي –صلى الله عليه وسلم– يقول: «الأخوات مؤمنات: ميمونة بنت الحار، وأم الفضل بنت الحارث، وسُلمى امرأة حمزة، وأسماء بنت عميس أختهن لأمهن»(٩٢).

تزوجها رسول الله –صلى الله عليه وسلم– بعد فراغه من عمرة القضاء في ذي القعدة من السنة السابعة للهجرة، وكان اسمها في السابق بَرَّة، فغيّره رسول الله –صلى الله عليه وسلم– إلى ميمونة، شأنها في ذلك شأن أم المؤمنين جويرية رضي الله عنها، والتي كان اسمها (برّة)، فغيّره عليه الصلاة والسلام إلى (جويرية)(٩٣).

وكانت رضي الله عنها من سادات النساء، مثلاً عالياً للصلاح ورسوخ الإيمان(٩٤).

الحديث: ما رواه يزيد بن الْأَصَمِّ، قَالَ: (تَلَقَّيْتُ عَائِشَةَ، وَهِيَ مُقْبِلَةٌ مِنْ مَكَّةَ، أَنَا وَابْنُ

أُخْتِهَا وَلَدٌ لِطَلْحَةَ، وَقَدْ كُنَّا وَقَعْنَا فِي حَائِطٍ بِالْمَدِينَةِ فَأَصَبْنَا مِنْهُ فَبَلَغَهَا ذَلِكَ؛ فَأَقْبَلَتْ عَلَى ابْنِ أُخْتِهَا تَلُومُهُ؛ ثُمَّ وَعَظَتْنِي مَوْعِظَةً بَلِيغَةً، ثُمَّ قَالَتْ: أَمَا عَلِمْتَ أَنَّ اللَّهَ سَاقَكَ حَتَّى جَعَلَكِ فِي بَيْتِ نَبِيِّهِ؛ ذَهَبَتْ وَاللَّهِ مَيْمُونَةُ، وَرُمِيَ بِحَبْلِكِ عَلَى غَارِبِكَ! أَمَا إِنَّهَا كَانَتْ مِنْ أَتْقَانَا لِلَّهِ، وَأَوْصَلِنَا لِلرَّحِمِ)[٩٥].

ما زالت أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها ثابتة في هذا الخلق العظيم إلا وهو خلق الإنصاف حتى مع آخر ضرائرها فقد وصفتها بصفة عظيمة هي تقوى الله ثم بالصفة التي تليها عظمة وهي صلة الرحم، بل ذكرتهما بصيغة المبالغة فقالت: (أتقانا) و (أوصلنا) و لو تأملت المضاف إليه لهاتين الصفتين لوجدت أن المضاف إليه هو أمهات المؤمنين وزوجات النبي صلى الله عليه وسلم، فوصفتها بأنها من أتقى زوجات النبي صلى الله عليه وسلم ومن أوصلهم للرحم، فأي شرف يناله مسلم بأن يقال أنت من أتقى المتقين لله ومن أوصل الواصلين لأرحامهم.

رحم الله أمهات المؤمنين كن يتنافسن على حب الحبيب صلى الله عليه وسلم تنافسا شريفا لا عدوان فيه ولا ظلم ولا بهتان، وأن ما حكت لنا كتب السنة من ثبات غيرتهن من بعض وما يحدث بينهن من خصومة هي خصومة وقتية تزول بزوال الخلاف ويبقى بينهن المعروف فكن يتعاشرن بالمعروف فيجتمعن مع بعضهن البعض ينتظرن زوجهم وحبيبهم ونبيهم عليه الصلاة والسلام اجتماعا تسوده المحبة والألفة وتقوى الله في السر والعلن وإلا لما تكرر هذا الاجتماع كل ليلة فكن يجتمعن في بيت من كانت الليلة ليلتها[٩٦]، وقد اصطلحوا على ذلك الأمر؛ لئلا يطول العهد برسول الله صلى الله عليه وسلم.

المبحث الثالث: قيمة الإنصاف في حياة أم المؤمنين عائشة

المطلب الأول: إدراكها وإيمانها بهذه القيمة العظيمة وتقديرها لمن يتصف بها.

لم يكن إنصاف أم المؤمنين لضرائرها والتحدث عن أفضالهن تصرفا عفويا بل كان تصرفا مبنيا على إيمان تام بأهمية الإنصاف وخير مثال يدل على ذلك تقديرها وإجلالها لموقف أم المؤمنين زينب بنت جحش في حادثة الأفك وهي التي كانت تساميها منزلة عند الرسول صلى الله عليه وسلم وكيف أكبرت منها هذا التصرف المبني على الإنصاف والموضوعية حيث لم تستغل حادثة الأفك لصالحها وإسقاط ضرتها، والإضرار بها تقول أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم سَأَلَ زَيْنَبَ بِنْتَ جَحْشٍ عَنْ أَمْرِي فَقَالَ لِزَيْنَبَ: مَاذَا عَلِمْتِ أَوْ رَأَيْتِ، فَقَالَتْ يَا رَسُولَ اللَّهِ: أَحْمِي سَمْعِي وَبَصَرِي وَاللَّهِ مَا عَلِمْتُ إِلَّا خَيْرًا، قَالَتْ عَائِشَةُ وَهِيَ الَّتِي كَانَتْ تُسَامِينِي مِنْ أَزْوَاجِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَعَصَمَهَا اللَّهُ بِالْوَرَعِ(٩٧).

وقد كانت حمنة بنت جحش(٩٨) أخت أم المؤمنين زينب بنت جحش رضي الله عنهما قد سقطت مع من سقطوا في حادثة الإفك فقد اتبعت هوى نفسها وحملها التعصب لأختها على ذلك، فوجدتها فرصة لإسقاط ضرة أختها لتحل أختها مكانتها، ولقد كانت ممن تاب فتاب الله عليه(٩٩).

وهذا كله يؤكد إنصاف أم المؤمنين زينب رضي الله عنها فلم يعمها التعصب لنفسها ولا هوى النفس أن لا تنصف منافستها على قلب زوجها وحبه، بل حملها العدل والإنصاف والخوف من الله تعالى على أن قالت ما قالت.

يقول الشاعر:

إن الوفاء على الكريم فريضة واللؤم مقرون بذي الإخلاف
وترى الكريم لمن يعاشر منصفا وترى اللئيم مجانب الإنصاف(١٠٠)

المطلب الثاني: ملازمة أم المؤمنين لهذا الخلق العظيم مع سائر الناس.

لم يقتصر إنصاف أم المؤمنين على ضرائرها بل كان خلق ثابتا متأصلا في نفسها نابعا من قناعتها التامة بأنها مجزية بكل قول تقوله ومحاسبة عليه فلم تكتم لأحد فضلا حتى وأن عاداها أو خالفها وخير ما يدل على ذلك ذكر هذين الموقفين العظيمين لها مع من خالفها.

الحديث الأول: ما قاله عروة بن الزبير: أن حسَّان بن ثابت كان مِمَّنْ كَثَّرَ عَلَى عَائِشَةَ (في حادثة الأفك) فَسَبَبْتُهُ فَقَالَتْ: يَا ابْنَ أُخْتِي دَعْهُ؛ فَإِنَّهُ كَانَ يُنَافِحُ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم(١٠١).

أي خلاف أعظم من هذا الخلاف، بأن يتهم شخص امرأة في أعز ما تملك وهو عرضها وعند من؟ عند أعظم الناس منزلة وأقربهم لنفسها فلم يكن النبي صلى الله عليه وسلم زوجا وحبيبا فقط بل نبي الله عز وجل ورسوله الذي آمنت به وصدقت فكيف تعفو وتصفح وتنصف عمن سبب لها ألما نفسيا عاشت فيه أياما وليالي لم يجف لها دمع ولم تنم لها عين.

فإن حسان بن ثابت ممن قذف أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها حتى أنزل الله براءتها بآيات تتلى إلى يوم القيامة ثم تاب فتاب الله عليه.

أي نفس هي تلك النفس التي تملكها أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها؟! وأي عدل وإنصاف وعفو يحمله قلبها؟! فلم تكتف بالعفو عنه بل انصفته بقولها (إنه كان ينافح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم) تقصد بشعره في مدح النبي صلى الله عليه وسلم والذب عنه أمام الكفار من أهل قريش فحفظت له ذلك في نفسها وكان في محل تقدير في قلبها ولم ينسها ما قاله عنها في حادثة الأفك هذا الفضل له.

وكان لموقفها العظيم من حسان أثر كبير في نفسه فقال فيها قصيدته المشهورة نذكر بعض ابياتها:

حصانٌ رزانٌ ما تُزنُّ بريبةٍ وتصبح غرثى من لحوم الغوافل
حليلةُ خير لناس ديناً ومنصباً نبيِّ الهدى والمكرمات الفواضل
عقيلةُ حيٍّ من لؤيِّ بن غالبٍ كرامِ المساعي مجدُها غير زائل
مهذبةٌ قد طيَّبَ الله خِيمها وطهَّرها من كل سوءٍ وباطل(١٠٢)

الحديث الثاني: عن عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ شِمَاسَةَ(١٠٣)، قَالَ: «أَتَيْتُ عَائِشَةَ أَسْأَلُهَا عَنْ

شَيْءٍ، فَقَالَتْ: مِمَّنْ أَنْتَ؟ فَقُلْتُ: رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ مِصْرَ، فَقَالَتْ: كَيْفَ كَانَ صَاحِبُكُمْ لَكُمْ فِي غَزَاتِكُمْ هَذِهِ؟ فَقَالَ: مَا نَقَمْنَا مِنْهُ شَيْئًا، إِنْ كَانَ لَيَمُوتُ لِلرَّجُلِ مِنَّا الْبَعِيرُ فَيُعْطِيهِ الْبَعِيرَ، وَالْعَبْدُ فَيُعْطِيهِ الْعَبْدَ، وَيَحْتَاجُ إِلَى النَّفَقَةِ، فَيُعْطِيهِ النَّفَقَةَ، فَقَالَتْ: أَمَا إِنَّهُ لَا يَمْنَعُنِي الَّذِي فَعَلَ فِي مُحَمَّدِ بْنِ أَبِي بَكْرٍ أَخِي أَنْ أُخْبِرَكَ مَا سَمِعْتُ مِنْ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يَقُولُ فِي بَيْتِي هَذَا: اللهُمَّ، مَنْ وَلِيَ مِنْ أَمْرِ أُمَّتِي شَيْئًا فَشَقَّ عَلَيْهِمْ، فَاشْقُقْ عَلَيْهِ، وَمَنْ وَلِيَ مِنْ أَمْرِ أُمَّتِي شَيْئًا فَرَفَقَ بِهِمْ، فَارْفُقْ بِهِ»(١٠٤).

المقصود بصاحبهم في قولها «كيف كان صاحبكم» هو معاوية بن خديج(١٠٥) ويدل على ذلك رواية البيهقي فقد ذُكر اسمه صريحا فيها بلفظ: «كَيْفَ وَجَدْتُمُ ابْنَ حُدَيْجٍ فِي غَزَاتِكُمْ هَذِهِ؟»(١٠٦).

في قولها «أما إنه لا يمنعني الذي فعل في أخي» إشارة إلى أن رافع بن خديج هو من قتل أخاها محمد بن أبي بكر.

واختلفوا في صفة قتل محمد هذا، قيل: في المعركة، وقبل بل قُتل أسيرا بعدها، وقيل: وجد بعدها في خَرِبَة في جَوْف حِمار ميت فَأَحْرقُوه(١٠٧).

قال النووي في قولها «أما إنه لا يمنعني الذي فعل في أخي»: فيه أنه ينبغي أن يُذكر فضل أهل الفضل، ولا يَمتنع منه لسبب عداوة ونحوها(١٠٨).

أن تنصف الضرة ضرتها هذا خلق عظيم، وأن تنصف المتهمة بالفاحشة مُتهِمَها فهذا خلق أعظم منه، لكن أن تنصف المكلومة في أخيها قاتله إنه عين الإنصاف الذي ما بعده إنصاف.

ففي مثل هذه المواقف تتجلى مكارم الأخلاق ويتبين حقيقة صدقها من ادعائها فالأخلاق ليست شعارات ترفع ولا كلمات تقال، لو كانت كذلك لتساوى أهل الفضل مع غيرهم من أدعياء الفضيلة.

فمن هذه المواقف العظيمة نستنتج أن الإنصاف عند أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها

يقوم على عدة معايير أبرزها: المعرفة، والتجرد عن الهوى، وترك التعصب الأعمى، والنظرة الشاملة للأمور، والتماس الأعذار، وحفظ المعروف.

فبهذا الخلق العظيم وهو خلق الإنصاف وغيره من المكارم استحقت أم المؤمنين عائشة أن تكون أحب زوجات النبي صلى الله عليه وسلم لنفسه فرضي الله عنها وارضاها فكانت وما زالت القدوة الحسنة والمعين الذي لا ينضب نستقي منه التميز والاعتدال والعلم.

المبحث الرابع: أثر إنصاف الضرائر بعضهن البعض على الأسرة والمجتمع.

من فوائد إنصاف الضرة لضرتها:

الإنصاف دليل على كمال الإيمان بالله والخوف منه.

الإنصاف عامل أساسي في استقرار الأسرة وشيوع المحبة بين أفرادها.

بالإنصاف تنتزع صفات الحقد والكراهية والحسد لتحل محلها صفات الاحترام والحب والتنافس في الخيرات.

بإنصاف الضرة لضرتها تسلم الأسرة من المكائد والمؤامرات.

بتناصف الضرائر يعم التعاون فيما بينهم مما يعود بالخير على الأسرة وعلى المجتمع بأسره.

الإنصاف يُمكن العقل من التمييز بين الصواب والخطأ، ويساعد على التقييم الصحيح للمواقف والأشخاص دون اتباع الهوى أو الوقوع في التعصب الأعمى

إذا ساد الإنصاف بين الضرائر ساد الأمن بينهم فأمنت كل واحدة على الأخرى نفسها ومالها وعرضها.

في إنصاف الضرائر لبعضهن أثره الكبير في تربية أبناء تسود بينهم المحبة والتعاون والتعاضد.

إنصاف الضرة لضرتها دليل على تجردها من الأنانية ومن حب الذات.

الخاتمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين، وعلى آله الطيبين الطاهرين وعلى صحابته الغر الميامين، وبعد؛ فإليكم أهم النتائج والتوصيات:

النتائج:

أولا: أهمية الإنصاف لأهل العلم والفضل؛ لأنه يدل على كمال إيمانهم، كما أنه أدعى لقبول قولهم ولثقة الناس بهم.

ثانيا: أن إنصاف الضرة ضرتها لا يتنافى مع ثبوت الغيرة منها.

ثالثا: إن معظم الأحاديث المروية في الصحيحين في فضل أم المؤمنين خديجة قد تفردت بروايتها أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها والبقية شاركت في روايتها؛ فمجموع ما روي في الصحيحين في فضلها احدى عشر حديثا، تفردت أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها بتسعة منها وشاركت غيرها من الصحابة في اثنين منها.

رابعا: أن الإنصاف عند أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها يقوم على عدة معايير أبرزها: المعرفة، والتجرد عن الهوى، وترك التعصب الأعمى، والنظرة الشاملة للأمور، والتماس الأعذار، وحفظ المعروف، والثبات.

خامساً: ما يترتب على إنصاف الضرائر بعضهن البعض من فوائد عظيمة وآثار جليلة على الأسرة بشكل خاص و على المجتمع بشكل عام.

التوصيات:

أولا: على الباحثين تسليط الضوء على المعاني الكامنة في النصوص الحديثية التي لا تكون ظاهرة، بل تحتاج لمزيد من التأمل والتفكر، واسقاطها على واقعنا المعاصر من جميع النواحي الأسرية والتربوية والسياسية والتعليمية والصحية.

ثانيا: الاهتمام بالأحاديث الدالة على حسن العشرة وآداب التعامل وحسن الخلق مع المخالف.

الهوامش والتعليقات

(١) مقاييس اللغة (٥/٤٣١).

(٢) التوقيف على مهمات التعاريف (٦٤).

(٣) المفردات للراغب الاصبهاني (٤٧٥).

(٤) التوقيف على مهمات التعاريف (٦٤).

(٥) لسان العرب لابن منظور (٥/ ٤٨٧).

(٦) ينظر: تهذيب اللغة للأزهري (١١/ ٣١٤).

(٧) ينظر: الطبقات الكبرى لابن سعد (٥٨/٨)، الاستيعاب في معرفة الأصحاب لابن عبد البر (٤/ ١٨٨١).

(٨) السَرَقَة هي القطعة الجيدة من الحرير وجمعها سَرَقٌ، وهي فارسية أصلها سَرَه، وهو الجَيِّد. النهاية في غريب الحديث والأثر (٢/٣٦٢).

(٩) رواه البخاري في صحيحه كتاب النكاح، باب: النظر إلى المرأة قبل التزويج رقم (٥١٢٥)، ومسلم في صحيحه كتاب فضائل الصحابة، باب: في فضل عائشة رضي الله عنها رقم (٢٤٣٨).

(١٠) أبو وائل شقيق بن سلمة الأسدي الكوفي تابعي مخضرم، وهو صاحب لعبدالله بن مسعود وسمع من عمر وعثمان، قال إبراهيم النخعي: ما من قرية إلا وفيها من يدفع عن أهلها به وإني لارجوا أن يكون أبو وائل منهم. ينظر إكمال تهذيب الكمال (٢٨٨/٧).

(١١) رواه البخاري في صحيحه كتاب فضائل الصحابة، باب: في فضل عائشة رضي الله عنها(٣٧٧٢).

(١٢) رواه البخاري في صحيحه كتاب فضائل الصحابة، باب: فضل عائشة رضي الله عنها رقم (٣٧٧٥).

(١٣) رواه البخاري في صحيحه كتاب فضائل الصحابة، باب: فضل عائشة رضي الله عنها رقم (٣٧٦٨).

(١٤) رواه البخاري في صحيحه كتاب فضائل الصحابة، باب: قول النبي صلى الله عليه وسلم " لو كنت متخذا خليلا" رقم (٣٦٦٢)، ومسلم في صحيحه كتاب فضائل الصحابة، باب: من فضائل أبي بكر الصديق رضي الله عنه رقم (٢٣٨٤).

(١٥) رواه البخاري في صحيحه كتاب النكاح، باب: نكاح الأبكار رقم (٥٠٧٧).

(١٦) رواه البخاري كتاب فضائل الصحابة، باب: فضل عائشة رضي الله عنها رقم (٣٧٦٩)، ومسلم في صحيحه كتاب فضائل الصحابة، باب: فضائل خديجة أم المؤمنين رضي الله عنها رقم (٢٤٣١).

(١٧) سورة النساء آية ١٣٥.

(١٨) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (٦/٤١٠).

(١٩) سورة المائدة آية ٨.

(٢٠) جامع البيان في تفسير القرآن للطبري (١٠/٩٥)

(٢١) سورة النساء آية ١١٢.

(٢٢) الاستقامة لابن تيمية (١/٣٨).

(٢٣) سورة البقرة آية ١٣٦.

(٢٤) سورة الأعراف آية ١٥٩.

(٢٥) سورة المائدة آية ٨٣- ٨٦.

(٢٦) قيل في سبب نزول هذه الآية قولان: احدهما: أنها نزلت في النجاشي ملك الحبشة وأصحابه، والثاني: أنها نزلت في قوم من أهل الكتاب كانوا على الحق متمسكين بشريعتهم فلماء جاء الإسلام آمنوا به. ينظر: كتاب أسباب النزول للواحدي (٢/٢٠٤).

(٢٧) رواه البخاري في صحيحه كتاب الإيمان، باب: من الإيمان أن يحب لأخيه ما يحب لنفسه رقم (١٣)، ومسلم في صحيحه كتب الإيمان، باب: لدليل على أن من خصال الإيمان أن يحب لأخيه المسلم ما يحب لنفسه من الخير رقم (٤٥).

(٢٨) رواه مسلم في صحيحه كتاب الإمارة، باب: الأمر بالوفاء ببيعة الخلفاء الأول فالأول رقم (١٨٤٤) مطولا.

(٢٩) رواه أحمد في مسنده (٢٨/٢١٦) رقم (١٦٦٥٥) بإسناد ضعيف، ورواه الحاكم في مستدركه (٥/١٨٦) رقم (٧٣١٣) من طريق آخر وقال: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه. و وافقه الذهبي.

(٣٠) رواه ابن أبي شيبة في مصنفه (٧/١٠٨) رقم (٣٤٥٦٣) بإسناد صحيح.

(٣١) رواه الطبراني في (المعجم الكبير) (٢/٩٥) رقم (١٣٢١)، قال الهيثمي في (مجمع الزوائد) (١٠/٣٥٣) رواه الطبراني وفيه يزيد بن ربيعة، وقد ضعفه جماعة، وقال ابن عدي: أرجو أنه لا بأس به وبقية رجاله ثقات.

(٣٢) هذا الأثر علقه البخاري في صحيحه كتاب فضائل الصحابة، باب: فضل عائشة رضي الله عنها عن عمار موقوفا. قال الحافظ ابن رجب كما جاء في فتح الباري (١/٨٢): هذا الأثر معروف من رواية أبي إسحاق عن صلة بن زفر عن عمار، رواه عنه الثوري وشعبة وإسرائيل وغيرهم. ورواه البزار في (البحر الزخار) (٤/٢٣٢) عن عبد الرزاق مرفوعا. وجاء عن ابن حجر في (تغليق التعليق) (٢/٤٠) أن رفعه وهم، وذكر أن من رفعه روى عن عبدالرزاق بآخره.

(٣٣) البداية والنهاية لابن كثير (١٠/٢٧٥).
(٣٤) جامع بيان العلم وفضله لابن عبد البر (٢/١٦٢).
(٣٥) فتح الباري لابن حجر (١/٨٣).
(٣٦) رسائل ابن حزم (١/٤٠١).
(٣٧) حاشية ابن القيم على سنن أبي داود (١/١٨٨).
(٣٨) سورة العلق آية (١-٥).
(٣٩) رواه البخاري في صحيحه: كتاب بدء الوحي، باب بدء الوحي رقم (٣)، ومسلم في صحيحه: كتاب الإيمان، باب الوحي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم رقم (٢٣١).
(٤٠) رواه الحاكم في مستدركه (٣/١٨٤) رقم (٤٨٧٢)، وعنه البيهقي في (السنن الكبرى) (٦/٣٦٧) رقم (١٣٢٠٤) بإسناد حسن.
(٤١) رواه البخاري في صحيحه كتاب مناقب الأنصار، باب: تزويج النبي صلى الله ليه وسلم خديجة وفضلها رضي الله عنها رقم (٣٨٢١)، ومسلم في صحيحه كتاب فضائل الصحابة، باب فضائل خديجة رضي الله عنها رقم (٢٤٣٧).
(٤٢) شرح صحيح مسلم للنووي (١٥/٣١١).
(٤٣) ينظر: النهاية في غريب الحديث والأثر لابن الأثير (١/٤٤٠).
(٤٤) الغَيْرَة وهي الحِمِّية والأنَفَة، يقال رجل غيور وامرأة غيور؛ لأنه فعل يشترك فيه الذكر والأنثى. ينظر النهاية في غريب الحديث لابن الأثير (٣/٤٠١).
(٤٥) جمع صديقة، والصديق مأخوذ من الصدق لأنه دائم التصديق لصحابه، والمصادقة المخَالَة. ينظر الصحاح للجوهري (٥/١٥٠٦).
(٤٦) رواه البخاري في صحيحه كتاب مناقب الأنصار، باب: تزويج النبي صلى الله ليه وسلم خديجة وفضلها رضي الله عنها رقم (٣٨١٨).
(٤٧) فتح الباري لابن حجر (٧/١٣٦).
(٤٨) رواه مسلم في صحيحه كتاب فضائل الصحابة، باب فضائل خديجة رضي الله عنها رقم (٢٤٣٥).
(٤٩) شرح صحيح مسلم للنووي (١٥/٣١١).
(٥٠) عارضة الأحوذي شرح جامع الترمذي (١٣/٢٥٢).

(٥١) رواه مسلم في صحيحه كتاب فضائل الصحابة، باب فضائل خديجة رضي الله عنها رقم (٢٤٣٥).

(٥٢) فتح الباري لابن حجر (١٣٦/٧).

(٥٣) فتح الباري لابن حجر (١٣٦/٧).

(٥٤) رواه مسلم في صحيحه كتاب فضائل الصحابة، باب فضائل خديجة رضي الله عنها رقم (٢٤٣٦).

(٥٥) فتح الباري (١٣٧/٧).

(٥٦) رواه أحمد في مسنده (٣٥٦/٤٢) رقم (٢٤٨٦٤) قال الهيثمي في (مجمع الزوائد) (٢٢٤/٩): "رواه أحمد وإسناده حسن".

(٥٧) الجَزع -بفتح الجيم وسكون الزاي-: الخرز اليماني الذي فيه سواد وبياض، و(أظفار) -بهمزة مفتوحة ومعجمة ساكنة وراء مكسورة- هو: عود طيب الرائحة يتبخر به، فجعل كالخرز يتحلى به؛ لحسن لونه أو طيب رائحته. ينظر النهاية في غريب الحديث (١٥٨/٣).

(٥٨) رواه ابن سعد في الطبقات الكبرى (٢٦/٩) والحاكم (٣٦٦/٤ رقم ٥٤٠٩) وقال: على شرط مسلم و وافقه الذهبي، ورواه الطحاوي في مشكل الآثار (١٣٦/١٣ رقم ٤٧٠٨) وفيه (رَقَّ لَهَا رِقَّةً شَدِيدَةً، حَتَّى دَمَعَتْ عَيْنَاهُ).

(٥٩) حسانة المزنية، وقيل: المدنية كان اسمها جثامة فقال لها الرسول صلى الله عليه وسلم بل أنت حسانة، صديقة خديجة زوج النبي صلى الله عليه وسلم. ينظر: الاستيعاب (١٨١٠/٤)، الإصابة (٨٤/٨).

(٦٠) رواه الحاكم في مستدركه (٦٢/٢) رقم (٤٠) وقال هذا حديث صحيح على شرط الشيخين وليس له علة. الحديث إسناد الحديث حسن فيه صالح بن رستم صدوق.

(٦١) رواه البخاري في صحيحه كتاب مناقب الأنصار، باب: تزويج النبي صلى الله ليه وسلم خديجة وفضلها رضي الله عنها رقم (٣٨٢٠)، ومسلم في صحيحه كتاب فضائل الصحابة، باب فضائل خديجة رضي الله عنها رقم (٢٤٣٢).

(٦٢) رواه البخاري في صحيحه كتاب مناقب الأنصار، باب: تزويج النبي صلى الله ليه وسلم خديجة وفضلها رضي الله عنها رقم (٣٨١٩)، ومسلم في صحيحه كتاب فضائل الصحابة، باب فضائل خديجة رضي الله عنها رقم (٢٤٣٣).

(٦٣) رواه البخاري في صحيحه كتاب مناقب الأنصار، باب: تزويج النبي صلى الله ليه وسلم خديجة وفضلها رضي الله عنها رقم (٣٨١٦، ٣٨١٧)، ومسلم في صحيحه كتاب فضائل الصحابة، باب فضائل خديجة رضي الله عنها رقم (٢٤٣٥).

(٦٤) شرح النووي على مسلم (٢٠٠/١٥).

(٦٥) ينظر: الروض الأنف للسهيلي (٤٢٩/٢).

(٦٦) شرح النووي على مسلم (٢٠٠/١٥).

(٦٧) رواه البخاري في صحيحه كتاب مناقب الأنصار، باب: تزويج النبي صلى الله ليه وسلم خديجة وفضلها رضي الله عنها رقم (٣٨١٥)، ومسلم في صحيحه كتاب فضائل الصحابة، باب فضائل خديجة رضي الله عنها رقم (٢٤٣٠)، ورواه الترمذي في سننه في أبواب المناقب، باب: فضل خديجة رضي الله عنها رقم (٣٨٧٧) وقال عنه: حسن صحيح وفي الباب عن أنس وابن عباس وعائشة.

(٦٨) رواه الترمذي في سننه أبواب المناقب، باب: فضل خديجة رضي الله عنها رقم (٣٨٧٨) وقال: هذا حديث صحيح. و رواه ابن حبان في صحيحه (٤٠١/١٥) رقم (٦٩٥١)، والضياء المقدسي في (الأحاديث المختارة) (٥/ ١٤٧) رقم ١٧٦٩)، والحاكم في مستدركه (٣/ ١٥٧) رقم (٤٧٧٣).

(٦٩) رواه ابن حبان في صحيحه (٤٧٠/١٥) رقم (٧٠١٠)، والضياء المقدسي في (الأحاديث المختارة) (١٦٧/١٢) رقم (١٨٧) والحاكم في مستدركه (٤٩٧/٢) رقم (٣٨٥٧) وقال: هذا حديث صحيح ولم يخرجاه، والطبراني في (المعجم الأوسط) (٢٣/٢) رقم (١١٠٧).

(٧٠) أخرجه الحاكم في مستدركه (٢٠٥/٤) رقم (٤٨٥٣) وقال: على شرط البخاري ومسلم.

(٧١) إكمال المعلم بفوائد مسلم للقاضي عياض (٤٤٠/٧).

(٧٢) ينظر: الاستيعاب لابن عبد البر ٣٢٣/٤ والطبقات الكبرى لابن سعد (٥٧/٧).

(٧٣) رواه مسلم في صحيحه كتاب الرضاع، باب: جواز هبتها نوبتها ضرتها رقم (١٤٦٣).

(٧٤) النهاية في غريب الحديث لابن الأثير (٣٨٩/٢).

(٧٥) ينظر: شرح صحيح مسلم للنووي (٣٠٢/١٠).

(٧٦) النهاية في غريب الحديث لابن الأثير (٣٥٣/١).

(٧٧) رواه البخاري في صحيحه كتاب الهبة وفضلها والتحريض عليها، باب: هبة المرأة لغير زوجها وعتقها، إذا كان لها زوج فهو جائز.... رقم (٢٥٩٣).

(٧٨) جلاء الأفهام لابن القيم (٢٣٧).

(٧٩) رواه الترمذي في سننه في أبواب التفسير، باب: ومن سورة النساء رقم (٣٠٤٠) وقال حديث حسن صحيح غريب، ورواه أبو داود الطيالسي في مسنده (٤٠٣/٤) رقم (٢٨٠٥) بإسناد حسن.

(٨٠) سورة الأحزاب آية ٣٧.

(٨١) ينظر: الاستيعاب لابن عبد البر (١٨٤٩/٤)، الإصابة لابن حجر (١٥٣/٨).

(٨٢) رواه مسلم في صحيحه كتاب فضائل الصحابة، باب: من فضائل زينب أم المؤمنين رضي الله عنها رقم (٢٤٥٢).

(٨٣) رواه البخاري في صحيحه كتاب الزكاة، باب: فضل صدقة الشحيح الصحيح رقم (١٤٢٠)، ومسلم في صحيحة كتاب فضائل الصحابة رضي الله عنهم، باب: من فضائل زينب أم المؤمنين رضي الله عنها رقم (٢٤٥٢).

(٨٤) رواه الحاكم في المستدرك. (٢٦/٥) رقم (٦٧٧٦) وقال: هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه و وافقه الذهبي.

(٨٥) ذكره ابن بطال في شرح صحيح البخاري (٣/ ٤١٩).

(٨٦) شرح النووي على صحيح مسلم (٨/١٦).

(٨٧) سير أعلام النبلاء للذهبي (٢١٥/٣).

(٨٨) أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب تفسير القرآن، باب: (لولا إذ سمعتموه ظن المؤمنون بأنفسهم خيرا) النور ١٢ إلى قوله (الكاذبون) النحل ١٠٥ رقم (٤٧٥٠)، ومسلم في صحيحه كتاب التوبة، باب: في حديث الإفك وقبول توبة القاذف رقم (٢٧٧٠).

(٨٩) رواه مسلم في صحيحه كتاب فضائل الصحابة رض ي الله عنهم، باب: في فضل عائشة رضي الله عنها رقم (٢٤٤٢).

(٩٠) ينظر: الاستيعاب لابن عبد البر (١٨٠٤/٤)، الإصابة لابن حجر (٧٣/٨).

(٩١) رواه أحمد (٢٧٧/٦ رقم ٢٦٤٠٨) بإسناد حسن فيه محمد بن إسحاق بن يسار صدوق يدلس وقد صرح فيه بالسماع وباقي رجاله ثقات، ورواه الحاكم في مستدركه (٢٤/٤)، والبيهقي (٩/ ٧٤ رقم ١٨٥٣٥) وقال صحيح ثابت.

(٩٢) رواه النسائي في السنن الكبرى) (٤٠٤/٧) رقم (٨٣٢٨) بإسناد حسن فيه عبد العزيز الدراوردي صدوق.

(٩٣) ينظر: الاستيعاب لابن عبد البر (٤/ ١٨٠٥، ١٩١٦).

(٩٤) ينظر: الاستيعاب لابن عبد البر (١٩١٧/٤)، الإصابة لابن حجر (٣٢٢/٨).

(٩٥) رواه ابن سعد في الطبقات الكبرى (١٠٩/٩)، والحاكم في مستدركه (٣٤/٥ رقم ٦٧٩٩) قال: هذا حديث صحيح على شرط مسلم، ووافقه الذهبي.

(٩٦) عن أنس رضي الله عنه قال: كان للنبي صلى الله عليه وسلم تِسع نِسوة، فكان إذا قسم بينهن لا ينتهي إلى المرأة الأولى إلا في تسع، فكن يجتمعن كل ليلة في بيت التي يأتيها". رواه مسلم في صحيحة كتاب الرضاع، باب: القسم بين الزوجات رقم (١٤٦٢).

(٩٧) رواه البخاري في صحيحه في كتاب المغازي، باب: حديث الأفك ح (٣٩١٠).

(٩٨) حمنة بنت جحش الأسدية، بنت عمة النبي صلى الله عليه وسلم فأمها أميمة بنت عبد المطلب، وهي أخت أم المؤمنين زينب بنت جحش، وكانت زوج مصعب بن عمير فقتل عنها يوم أحد فتزوجها طلحة بن عبيد الله فولدت له محمد وعمران، كانت من المبايعات، وشهدت أحدا فكانت تسقي العطشى، وتحمل الجرحى، وتداويهم. ينظر: الاستيعاب لابن عبد البر (٨/ ٨٨).

(٩٩) ومما يدل على ذلك ما رواه مسلم في صحيحه كتاب التوبة، باب: في حديث الأفك وقبول توبة القاذف رقم (٢٧٧٠).

(١٠٠) ذكره الماوردي في كتابه (أدب الدنيا والدين) (ص ٢٥٥).

(١٠١) رواه البخاري (٢٩٩/٣) رقم ٣٨٨ ومسلم رقم ٢٤٨٧.

(١٠٢) هو عبد الرحمن بن شِمَاسَة بن ذؤيب المهري، أبو عبدالله المصري، تابعي ثقة روى له الجماعة، مات بعد المائة. ينظر: تهذيب الكمال (١٧٣/١٧).

(١٠٣) هو معاوية بن حديج بن جفنة السكوني وقيل: الكندي، وفد على النبي صلى الله عليه وسلم وشهد فتح مصر، غزا افريقيا ثلاث مرات واصيبت عينه في مرة منها. ينظر: الاستيعاب لابن عبد البر (١٤١٤/٣)، والإصابة لابن حجر (١١٦/٦).

(١٠٤) رواه مسلم في صحيحه كتاب الإمارة، باب: فضيلة الإمام العادل وعقوبة الجائر... رقم (٣٤١٣).

(١٠٥) ينظر: سير أعلام النبلاء للذهبي (٤٦٧/٤).

(١٠٦) السنن الكبرى للبيهقي (٧٤/٩ رقم ١٧٩١٣) إسناده ضعيف لكن أصل الحديث عند مسلم كما سبق وجاء في كتب الشروح أنه معاوية بن حديج. ينظر: كشف المشكل من حديث الصحيحين لابن الجوزي (٤١٧/٤).

(١٠٧) ذكره النووي في شرح صحيح مسلم له (٢١٢/١٢).

(١٠٨) شرح صحيح مسلم للنووي (٢١٢/١٢).

المصادر والمراجع

- الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان، محمد بن حبان البستي، ترتيب: علي بن بلبان الفارسي، تحقيق: شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١، ١٤٠٨هـ.
- أدب الدنيا والدين. علي بن محمد الخطيب المشهور بالماوردي، دار مكتبة الحياة، دط، ١٩٨٦م.
- أسباب نزول القرآن. علي بن أحمد الواحدي، تحقيق: عصام الحميدان، دار الإصلاح، الدمام، ط٢، ١٤١٢هـ.
- الاستقامة. أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية، تحقيق: محمد رشاد، جامعة الإمام محمد بن سود، المينة المنورة، ط١، ١٤٠٣هـ.
- الاستيعاب في معرفة الأصحاب. يوسف بن عبد البر القرطبي، تحقيق: علي محمد البجاوي، دار الجيل، ط١، ١٤١٢هـ.
-الإصابة في تمييز الصحابة. أحمد بن حجر العسقلاني، تحقيق علي البجاوي، دار الجيل، بيروت، ط١، ١٤١٢هـ.
- إكمال تهذيب الكمال. مغلطاي بن قليج البكجري، تحقيق: عادل محمد، الفاروق الحديثة، ط١، ١٤٢٢هـ.
- إكمال المعلم بفوائد مسلم. القاضي عياض بن موسى السبتي، تحقيق: يحيى إسماعيل، دار الوفاء، مصر، ط١، ١٤١٩هـ.
- البداية والنهاية. إسماعيل بن عمر بن كثير، دار الفكر، دط، ١٤٠٧هـ.
-تغليق التعليق على صحيح البخاري. أحمد بن حجر العسقلاني، المكتب الإسلامي، دار عمار، ط١، ١٤٠٥هـ.
- تفسير الطبري المسمى "جامع البيان في تأويل آي القرآن. محمد بن جرير الطبري، دار الكتب العلمية، بيروت، ط٣، ١٤٢٠هـ.
- تهذيب الكمال في أسماء الرجال. يوسف بن عبد الرحمن المزي، تحقيق: بشار عواد، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١، ١٤٠٠هـ.
- تهذيب اللغة. منصور محمد بن أحمد الأزهري، تحقيق: محمد عوض مرعب، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، ط١، ٢٠٠١م.
- التوقيف على مهمات التعاريف. عبدالرؤوف المناوي، عالم الكتب، القاهرة، ط١، ١٤٠١٠هـ.

- جامع بيان العلم وفضله.. يوسف بن عبدالله ابن عبد البر القرطبي، تحقيق: أبي الأشبال الزهيري، دار ابن الجوزي، الرياض، ط١، ١٤١٤هـ.
- جامع البيان في تأويل القرآن. محمد بن جرير الطبري، تحقيق: أحمد شاكر، مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤٢٠هـ.
- الجامع لأحكام القرآن. محمد بن أحمد القرطبي، تحقيق: محمد البردوني، دار الشعب، مصر، ط ٢، ١٣٧٢هـ.
- جلاء الأفهام في فضل الصلاة على محمد خير الأنام. محمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية، تحقيق: شعيب الأرناؤوط، دار العروبة، الكويت، ط٢، ١٤٠٧هـ.
- جمهرة أشعار العرب: محمد بن الخطاب القرشي، دار صادر، بيروت، د ط، د ت.
- حاشية ابن القيم. الصديقي العظيم آبادي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط٢، ١٤١٥هـ.
- رسائل ابن حزم الأندلسي. علي بن أحمد ابن حزم الأندلسي القرطبي، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط١، ١٩٨١م.
- الروض الأنف في شرح السيرة النبوية. عبدالرحمن بن عبدالله السهيلي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط١، ١٤١٢هـ.
- سنن الترمذي. محمد بن عيسى الترمذي، تحقيق: أحمد شاكر، مكتبة مصطفى البابي، مصر، ط٢، ١٣٩٥هـ.
- السنن الكبرى. أحمد بن الحسين البيهقي، تحقيق: محمد عبد القادر، دار الكتب العلمية، بيروت، ط٣، ١٤٢٤هـ.
- سير أعلام النبلاء: للإمام شمس الدين محمد الذهبي: ت شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت—ط١١—١٤١٩هـ.
- شرح صحيح البخاري. أبو الحسن علي بن خلف ابن بطال، تحقيق: أبو تميم ياسر إبراهيم، مكتبة الرشد، الرياض— ط١—١٤٢٠هـ.
- شرح صحيح مسلم (المنهاج). يحيى بن شر.ف النووي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط٢، ١٣٩٢هـ.
- شرح مشكل الآثار. أحمد بن محمد الطحاوي، تحقيق: شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١، ١٤١٥هـ.
- الصحاح (تاج اللغة وصحاح العربية). إسماعيل بن حماد الجوهري،تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، ط٣، ١٤٠٤هـ.
- صحيح البخاري. محمد بن إسماعيل البخاري، تحقيق: محمد زهير، دار طويق، ط١، ١٤٢٢هـ.

- صحيح مسلم. مسلم بن الحجاج النيسابوري، تحقيق: محمد فؤاد عبدالباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، د ط، د ت.
- الطبقات الكبرى، محمد بن سعد، دار صادر، بيروت، د ط، د ت.
- عارضة الأحوذي بشرح صحيح الترمذي، ابن العربي المالكي، دار الكتب العلمية، بيروت، دط، دت.
- فتح الباري شرح صحيح البخاري. أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، دار السلام، الرياض، ط١، ١٤٢١هـ.
- كشف المشكل من حديث الصحيحين، عبدالرحمن بن علي أبو الفرج الجوزي، تحقيق: علي البواب، دار الوطن، الرياض، دط، دت.
- لسان العرب. محمد بن مكرم بن منظور الأفريقي المصري، دار صادر، بيروت، لبنان، ط١، دت.
- مجمع الزوائد ومنبع الفوائد. نور الدين علي الهيثمي، دار الكتب العلمية، بيروت، د ط، ١٤٠٨هـ.
- المستدرك على الصحيحين. محمد بن عبد الله الحاكم النيسابوري، تحقيق: مصطفى عبدالقادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١١هـ.
- مسند أحمد. أحمد بن حنبل أبو عبد الله الشيباني، مؤسسة قرطبة، مصر، د ط، د ت.
- مسند البزار. أحمد بن عمرو البزار، تحقيق: محفوظ الرحمن زين الله، مؤسسة علوم القرآن، بيروت، ط١، ١٤٠٩هـ.
- مسند أبي داود الطيالسي، سليمان بن داود الطيالسي، تحقيق: محمد التركي، دار هجر، مصر، ط١، ١٤١٩هـ.
- المصنف في الأحاديث والآثار. أبو بكر عبد الله بن أبي شيبة، تحقيق: كمال الحوت، مكتبة الرشد، الرياض، ط١، ١٤٠٩هـ.
- معجم مقاييس اللغة. أحمد بن فارس بن زكريا، تحقيق: عبدالسلام هارون، دار الفكر، بيروت، ١٣٩٩هـ.
- المعجم الكبير. الطبراني، تحقيق: حمدي السلفي، مكتبة العلوم والحكم، الموصل، ط ٢، ١٤٠٤هـ.
- المفردات في غريب القرآن. الحسين بن محمد الراغب الأصفهاني، تحقيق: محمد سيد الكيلاني، دار المعرفة، لبنان، د ط، د ت.
- المنهاج شرح صحيح مسلم. يحيى بن شرف النووي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط٢، ١٣٩٢هـ.
- النهاية في غريب الحديث والأثر. مجد الدين أبي السعادات ابن الأثير الجزري، تحقيق: طاهر الزاوي، ومحمود الطناجي، المكتبة العلمية، بيروت، ط ١، ١٤١٨هـ.